كتاب

سهام الدين المارقه

في

صدور الزنادقه

سلسلة محاضرات فى الرد على الزنادقة المحدثين

لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ

محمود حسن ربيع

من علماء الأزهر الشريف

الجزء الثانى

عنيت بنشره

جمعية النشر والتأليف الأزهرية

مطبعة ابى الهول بالقاهرة

٦ - شارع دار الكتب المصرية

المحاضرة الثانية

(الانبياء صادقون . والديانات سماوية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل ، سبحانه دعا الخليقة إلى ما فيه صلاحها لتتم لهم السعادة الحقة ويرتعون فى بحبوحة رضاه آمنين ، واصلى وأسلم علي أنبيائه ورسله الذين اصطفاهم من خيرة خلقه ، وقد بلغو ذروة الكمال وسنامه فعملوا لخير البشرية جمعاء ودعوا الناس إلى تقديس ربهم والبر بالروحانيات والماديات ولولاهم لكان العالم اليوم بركانا من من الشر يتأجج ، أو سعيرا من جهنم يتلهب لظاه . وكان الناس فصيلة من فصائل الوحوش الماكرة والحيوانات الغادرة لا يعرفون مدنية ولا يفقهون سعادة فجزاهم الله عن الانسانية بمقدار ما أبلوا فى خدمتها وضحوا فى سعادتها ، ومن تبعهم ووالاهم إلى يوم الدين م



أيها السادة . لقد وعدناكم وعدا حقا حين حاضرناكم بمحاضرتنا الاولى (الله لا الطبيعه) أننا سنتبعها بمحاضرة فى ان الديانات سموية نرد بها على الذين يكيدون للديانات ويحاربونها بمختلف الوسائل ليتملصوا من ربقتها وليشاكلهم

الناس فى ذلك حتي لايأخذهم الخجل إذاصنعوومايستنكرونه منهم وفعلوا مايسخطهم عليهم (ودوا لوتكفرون كما كفروا فتكونون سواء)

ولعل منكم أيها السادة من يعجب أشد العجب من سماع اخبار تلك الطائفة ويتهمنا بالتحامل او المبالغة اعتقادا منه انه لايجرؤ مخلوق على ان ينكر الديانات ويحاربها بكل مافيه من قوة ومكر وخبث وحيله، لكنى اعتقد انه سرعان ما يعرف أنه أسرف فى اتهامنا حين يعلم ماكان من سبب لنشر هذه المحاضرات على هذا النحو الغير المألوف

الباعث على هذه المحاضرة

أيها السادة . ليس من شك فى ان المؤمن تأخذه الحسرة ويتملكه الاسف . ويبرح به الكمد حين يسمع ان فى أركان المعمورة اصواتا تتجاوب مرتفعة ضد الديانات وان فى العالم حركة ماكرة غيرمباركة تروح هنا وهناك للقضاء على الديانات فى جميع الارض وجعل الامر فوضى لايردع عن الشهوات رادع ولا يزجر عن المشتهيات زاجر

مرام شط مرمى العقل فيه ودون مداه بيد لاتبيد

التى هذا على مسامعكم وبين ربوع روسيا السوفيتية جمعية معضدة من أولى الامر فيها تسمى جمعية اللاخائفين من الله تناهض الاحبار والقسس . وتنازل الرهبان ورجال الدين وتطبع فى الاعياد الوطنية المبتدعة ملايين المنشورات فتوزعها على الناس تهنئهم فيها بالعيد وتبث فيهم مبادىء عدم الخوف من الله تعالى ، ولم ينج علماء المسلمين من شرهم بل امتدت شرورهم اليهم وهذا مراسل جريدة (١) دايلى تلغراف) فى ريغا يحدثنا انه تمت محاكمة أعضاء الهيئة الاسلامية العليا فى تركستان

---

١) نقلا عن جريدة الفتح عدد ١١٨

المتهمين بمحاولة اغتيال (أدنيا شميدوف) الذى كان المحرك الاول لمصادرة أملاك الجامعة الاسلامية فى (فاكوف)وقد حكم على قسم الله طاهر رئيس الهيئة الدينية الاسلامية وعلى زعيم إسلامى آخر بالاعدام رميا بالرصاص،وحكم على ثلاثة آخرين بالسجن، فتأملوا ياحضرات الاخوان واعتبروا

وهذه أمريكا. قامت بها جميعة تسمي جمعية نشر الكفر فى العالم تعمل ضدما يعمله المبشرون .

وهذه جريدة الاهرام فى عددها الصادر فى يوم الجمعه ٤ يناير سنة ١٩٢٩ ! تحدثنا تحت عنوان (الالوهية عن المسرح) مانصه

كثرت الاحتجاجات فى المدن الالمانية على تمثيل روايتين يتهافت الجمهور على حضورهما تهافتا عظيما فى تياترو (رومبنهردت ببرلين)أحداهما رواية (الزيجات التي تعقد فى السماء) مثل فيها دور الاله رجل هرم فى ملابس الجلف، فبعد ما لعب دورا بهذه اللعبة ، أخذ يباحث مريم المجدليه بشأن بنى البشر ، وتمثل دور مريم المجدلية غانية حسنا من ربات الدلال !?

فانظروا وتأملوا رحمكم الله كيف تسفل العالم وكيف انقلب حال ابن آدم وكيف صار بعد ماكان وهو فى دور الجاهلية . وحين كان على فترة من الرسل يعمل النصب ، ويتخذ التماثيل ، يعبدها ويقدسها قربانا . رمزا إلى خالقهم وكيف صارت الالوهية لابناء هذا الزمان ملهي وملعبا ، وكيف صارت محل استهزاء اللئام وتعنتهم. وليس بعد الكفر ذنب .

وغير هؤلاء وأولئكم كثيرون . وها هو فريق بين ظهرانيكم وفى بلدكم يكتب على صفحات جريدة السياسة الاسبوعية ليقرأ الالوف من الناس مايأتى (١) « إن الدين فى نظر العلم الحديث ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية ، لم ينزل من

١) قائله طه حسين

السماء ، ولم يهبط به الوحى ، وانما خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها »

ولا يغرن أحداً قوله فى نظر العلم الحديث ، فأن هذه تكأة الضعيف يهدى اليها الشيطان أولياءه ، (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)

وهذا نيشرى(١) آخر يكتب على صفحات جريدة الاهرام مصرحا بما فى نفسه قائلا : إن سعادة الامم فى أن تكون بلا دين ولا شريعة » وقال نفسه فى مقال آخر « إن الديانات قيود وأغلال التزمها الناس بدعوى أنها منزلة خالدة »

عفوا يارجال القرن العشرين عفوا يافلاسفة العلم ونوابغ الزمان آه

رمانى الدهر بالارزاء حتى فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال

إلى غير هذا أيها السادة مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا اجترأ عليه هؤلاء وغيرهم ، مما دعانى أن أجرد القلم . وأن أكتب هذه المحاضرة . وأذكر فيها الادلة القاطعة على أن الانبياء صادقون . وعلى أن الدين الذى جاءوا به الى الناس بالوحي لا من عند أنفسهم ، وبأمر الله وتسهيله ، لا بمحض بشريتهم ، وأن أتطرق بعد ذلك فى محاضرة خاصة إلى أن دين الاسلام الذى كان أول هدف لهم يستحيل أن يكون وضعيا بل هو دين سموى حق يبهر العقول ويأخذ بالالباب . لجمال ماجمع من سعادة للبشر ، وما حوى من أسرار وحكم تخر لها جبابرة العقول ساجدين ، وأن أذكر أيضا محاضرة ابين فيها بالحجج الناصعة أنه لا خلاف بين العلم والدين كما يزعمه المجددون

---

١) طبيعى وقائل ذلك محمود عزمى الكاتب المصرى

(خطر هذا الموضوع)

أيها السادة . موضوع خطير هذا الذى نعالجه الساعة لا لانه رد علي جماعة
ممن شغلوا مراكز هامة فى الهيئة الاجتماعية وإن كان ذلك بلاء أيما بلاء وقديما قيل

أثقلنى قلة الكرام   وكثرة المال فى اللئام
وليس هذا على وحدى   هذا شقاء على الانام

فأن ذلك وإن دل على شيء فأنما يدل علي تسفل بعض النفوس البشرية
إلى حضيض الحيوانية حيث أصبحت تنكر امرا تكاد تلمسه اليد ويقر به الوجدان
الحي ويعرف بقليل من التبصر وهو النبوات ـ بل لانه عزيز علينا أن نضع النبوات
موضع الشك (ولو على سبيل الفرض والتقدير لنقيم الدليل على إثباتها)

ولكن شاء الله أن تبعث قرامطة فى آخر ازمان بعد انقراض طوائفها فى الغابر
يبحثون فى أقوالهم وتضليلاتهم ثم يمتنقون أضاليلهم وخرافاتهم ويكونون فى ذلك
عيالا عليهم ثم يدعون انهم مجتهدون وأنهم المجددون وأن علمهم الحديث هو الذى
يقرر ذلك ، الا ساء ما يفعلون

فليعلم هؤلاء ومن على شاكلتهم أن شبههم قد فرغ علماء الاسلام من الرد
عليها . وأنهم ما أتوا بجديد يرد عليهم فيه إلا ادعاؤهم التجديد واختلافهم فى الاساليب
عن أولئك (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم
هم السفهاء ولكنهم لا يعلمون)

من لى بهؤلاء حتى يفهموا أن هذا الكون لم يخلق باطلا ولم ينشأ عبثا . وانهم
ماخلقوا للهو ولا للعب وإنما لحياة غير هذه الحياة يحاسبون فيها على النقير والقطمير
ويجازون فيها على الذرة والفتيل ، امام من يعلم مايسرون وما يعلنون وما يبطنون

ما يظهرون سبحانه لاتخفى عليه خافية وهو الله أحكم الحاكمين . فليت شعرى الذى دها هؤلاء حتى تورطوا فيما تورطوا فيه ، فاستسلموا للاهواء ، وجروا وراء الاوهام ولم يتدبروا قوله تعالى «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاوأنكم الينا لاترجعون» واعجبا كيف انقادوا لتلك الوساوس حتي ألغوا عقولهم . وزعموا أن العالم لهو وباطل . وما هو إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ولا نبوة ولا ألوهية ولا وحى ولاشرائع . حقا ، إنها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور. واغرابة لهؤلاء ، كيف تسنى لهم أن ينكروا أبهر المظاهر وأظهر الاشياء . أليس لهم قلوب يفقهون بها ، أو ليس لهم آذان يسمعون بها ، أوليس لهم أعين يبصرون بها وإلا فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا .

توهمت قدما أن ليلى تبرقعت وأن حجابا دونها يمنع اللثما
فلاحت فلا والله ماثم حاجب سوي أن طرفى كان عن حسنها أعمى

(قطع الامل في اقناع الملاحدة)

أيها السادة النصيحة سهلة والمشكل قبولها ، لانها فى مذاق متبع الهوى مر. إذ المناهى محبوبة لقلوبهم . فلسنا نحاول فيما نكتب هداية الملاحدة ، او العمل على ردهم إلى الصواب : فأنا نعلم علم اليقين أن هؤلاء مثلهم كمثل من قبلهم ، حاول الرسول هدايتهم ، وكشف الغشاوة عن بصائرهم ، بالنور الذى جاءهم به ، فأبوا وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل إننا عاملون . ولسنا نخشى على أنفسنا من ترهاتهم واباطيلهم ، فما هي الا خيال وسراب ، أوطنين ذباب

فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى أطنين اجنحة الذباب يضير
ولسنا نحاول انتشال من كان علي شاكلتهم فأضلوه فقدر ان علي قلوبهم ظلام

تعاليمهم ، وختم الله عليها بشؤمها ، وأصم أسماعهم ، وأعمى أبصارهم ، (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم . إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون)

إنما نحاول ان نكتب لاولئك الاطهار الاغرار الذين يغترون بزخرف اقوال الملاحدة ، فيقبلون على جرائدهم ومطبوعاتهم وما هى إلا السم الزعاف لقارئها والسهم المسموم من سهام إبليس على الناظر فيها ، ولما يقعوا بعد فى حبائلهم وينهار بهم فى نار جهنم بنيانهم ..

نكتب والعين قريرة ، والقلب مطمئن إلى الغاية التى نريدها : لأنا بذلك نتعهد ما فيهم من غرس طيب ، واستعداد جميل قابل لان ينموا فنواصل به طريق النمو . ونزيل من سبيله الاشواك وما يضعه أعداء الرسل من عوائق ، ونذكرهم (فان الذكرى تنفع المؤمنين)

(لماذا ينكر الملاحدة النبوة)

أيها السادة . إن هؤلاء القوم قد ركبوا هذا المركب الخشن وقد تجرؤا تلك الجراءة حتى كذبوا رسل الله وأنكروا النبوة . ومن حق كل إنسان أن يتساءل ما الذي حمل هؤلاء على ذلك الانكار ، وما الذى حدا بهم إلى ذلك التكذيب . وهو أمر خطير جدا لا يقدم عليه إلا من بلغ فيه حد اليقين . لانه اذا صح ما قاله الانبياء كان جزاء المكذب الخلود فى النار أبد الآبدين

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاموات قلت اليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولى فالخسار عليكما

فكيف هذا العداء للدين وأهله من غير مستند ولا برهان (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . وقد جاءكم بالبينات من ربكم . وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم . إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)

—

والواقع يا حضرات الساده أن الذى حملهم على ذلك التكذيب سوء ضمائرهم وفساد طويتهم،وخبث استعدادهم،فهم قد نصبوا أنفسهم لذلك التكذيب (وما المرء إلا حيث يجعل نفسه) والانسان إذا قلنا لكم إنه مجمع العجائب والغرائب فلسنا نأتى بجديد

على أنها الايام قد صرن كلها عجائب حتي ليس فيها عجائب

وإذا قلنا إن من الناس من يكذب وهو يعلم أنه على غير الحق فى ذلك التكذيب فلا نغرب (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) ومن الناس من إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالأثم فحسبه جهنم، وهؤلاء قوم اتبعوا الوهم وجروا وراء الخيال والوهم ستار الحقيقة

قال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده (الوهم طورا يكون مرآت المزعجات ومجلى المفزعات ،وطورا يكون ممثلا للمسرات ، حاكيا للمنعشات ،وهو فى جميع أطواره حجاب الحقيقه ، وغشاء علي عين البصيرة ولكن له سلطان علي الارادة وحكم علي العزيمة ، فهو مجلبة الشر ،ومنفاة الخير ، الوهم يذهل الواهم عن نفسه ،ويصرفه عن حسه ، يخيل الموجود معدوما والمعدوم موجودا)اه

نعم ذلك هو الوهم الذي جرهم إلى ان يقرروا أن الانبياء كذبه و أنهم استدرجوا الناس لغاياتهم فى عصور مظلمة ساد فيها الجهل وندر العلم بدعوي أنهم من عند الله وأن لهم اتصالا بالسماء. آه!؟

لو كنت أملك للرياض صيانة يوما لما وطىء اللئام ترابها

نعم وبالوهم قاسوا الانبياء علي انفسهم . وقالوا إنهم بشر لهم غايات ولهم مصالح ،فلماذا لا يكون الرائد غاياتهم والباعث مصلحتهم ، والملاحدة لا يعرفون غير مصالحهم ، خلقهم الرياء وديدنهم الكذب ورأس مالهم الغش والخداع،ولا يعرفون من التضحية الا اسمها ، ولا من خدمة المجموع الا بمقدار ما يعود عليهم من الفوائد

ويحهم. متي يكون الذى ارجو وآمله   أما الذى كنت أخشاه فقد كانا

بل هم يعجبون أيها السادة. أن يكون فى العالم صادق لا يقصد من دعوته إلا الخير للناس ولا يرجو من ورائها الا خالص المصلحة لهم، ولذلك ينكرون وجود انبياء يضحون فى سبيل المجموع لا لغرض شخصى. هم يعجبون من هذا لانهم لا يستطيعو نه (وكل اناء ينضح بما فيه) (أكان للناس عجبا ان اوحينا إلى رجل منهم ان أنذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) : لذا لم يسلم الانبياء من ذمهم، ولم يخلص الصالحون من شرهم ولكن. هل استطاعوا ان يحجبوا نورهم المتألق فى سماء العالم اجمع؟ كلا.

ما ضر اهل الفضل طعن مكابر   فالغصن يرمى بالحجارة مثمرا

(المكذبون بالرسل أعداء الانسانية)

أيها الساده. ان الذين يكذبون الرسل يحملون عداوة للانسانية لاحد لها فقلوبهم مملوءة بالحفيظة. وصدورهم تضيق بما فيها من بغض وكراهة، وافئدتهم تكاد تميز من الغيظ. أحس اذا رأيتهم ورأونى أنهم المقصودون بقول سعيد بن جبير

نظروا إليك بأعين محمرة   نظر التيوس إلى شفار الجازر

حزر العيون نواكس أبصارهم   نظر الذليل إلى العزيز القاهر

وحينئذ أردد فى نفسى قول ابن عباس

أحياؤهم عار على أمواتهم   والميتون مسبة للغابر

نعم أيها السادة نحس بذلك لانه لا عداوة كعداوة الدين. وهم بما صبؤا عن الدين وبما فسقوا عن الشرعة والمنهاج القويم يحسون بعدم تشاكل بينهم وبين من يغاير هم فى العقيدة فيودون أن يشاركهم الناس فيما يعتقدون وأن يتساووا معهم فيما يصنعون « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم

وما يشعرون» فهم إن دعوا الناس إلى التجديد والمدنية لم يدعوهم إلى امر نافع لهم أو جامع لمصالحهم ولم يرجوا من وراء ذلك سعادتهم وإنما يروجون فيهم تلك الدعاية الخبيثة للمكر بهم ونصب الشباك لمشاكلتهم عسى ان يخف عنهم تأنيب الضمير ولذعه وهم يظنون ذلك جهلا فهم يحسبون أن المهم لخروجهم عن المألوف للناس ولو شاركوهم لاستراحوا وهذا جهل شنيع . وخطأ فظيع لان صوت الضمير لا يهدأ وتأنيبه لا ينتهى الا اذا تمسك الانسان بالحق . واتبع هدى الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ولما كان اعتقاد الملحدين أنهم لا يستريحون إلا إذا شاركهم من سواهم فى إباحيتهم كنت ترى انهم يسلكون كل سبيل يؤدى إلى هذه المشاركة ولو استطاعوا حمل الناس بالقوة عليها لما توانوا ولو ضحوا فى ذلك بعشرات الالوف من كبار المصلحين وزعماء الامة . وعظماء رجالها العاملين (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) بل ربما أودوا بأخلص أصدقائهم. ومن كانوا ساعدهم الايمن فى سبيل شهواتهم ومطامعهم ولا يزالون غارقين فى اسر الهوى لا يفيقون لخبالهم . سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى يفيق فتى به سكران وهكذا لانانى لا يرى احدا على وجه الارض يستحق التقديس غير ذاته وبعده الطوفان (ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر)

وليس ما فعله مصطفى كمال بأمته . وملك الافغان كذلك عنا ببعيد وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون

قل لنصر والمرء فى دولة السلـ ... طان أعمى مادام يدعى اميراً
فاذا زالت الولاية عنـه ... واستوى بالرجال عاد بصيرا

وقصارى القول ايها السادة ان الملاحدة شر خليقة الله . واخبث عباده . كفرهم أشد من كفر فرعون وهامان وثمود وضرهم أعظم من ضرر أبى جهل والنمرود . يعيبون الديانات سرا وجهرا ويلمزون أهلها والمتمسكين بها . وكم تطاول أحدهم

حتي بلغ من قحته أن عاب الانبياء . وتورط فى السفه حتي تصور أنهم كذبة خداعون

يامحنة الدهر كفى   إن لم تكفي فخفي
قد آن أن ترحمينا   من طول هذا التشفى

ويلهم ، كم تحوى مجالسهم من سفيه يأتى بفحش القول وهجره ، وكم فيهم من إمعة يسرف فى الطعن على مقامات دونها قطع الرقاب ، ويتعالى هو فى كبرياء جهله . ويتعاظم فى فنون جنونه وكأنى به يقول متغطرسا

إنما الدنيا أبو دلف   بين باديه ومحتضره
فأذا ولى أبو دلف   ولت الدنيا علي أثره

فما نقول لمثل هذا اللئيم إلا كما قيل

أقصر يحق لمثلك الاقصار   أتريد تعييرا وأنت العار

(الملحدون لاشبهة لهم تحملهم على الالحاد)

أيها السادة . لو دققنا النظر فيما يحمل هؤلاء الملاحدة علي إنكار النبوات . لم نجد لهم دليلا . او شبه دليل . يطمئن الباحث به إلى انكار شىء توعد عليه باللعنة الابدية ، والمقت اللانهائى والعذاب الاليم مدى الاحقاب . وتوالى الدهور ، ولكنهم اتبعوا الهوى . فعميت عليهم الانباء وصدق الحكيم العربى حيث يقول

إن المرائى لاترى   ك عيوب وجهك فى صداها
وكذلك نفسك لاترى   ك عيوب نفسك فى هواها

نعم ولولا الهوي . لما بقى شىء من ظلام الجهل أمام نور الدين المنتشر فى كل الارجاء فما الدين إلا كفلك الصبح يغزو داجي الليل . فاذا حندس الظلام مطلقا ساقيه للريح تتبعه الهزيمة إثر الهزيمة حتى تلقى به فى أحضان التلاشى . فاذا الظلام بائد . والنور سائد وهكذا الدين يدحض الكفر . ويزهق الباطل . فلاتظهر

طليعة الحق ،ويبدو نورها المتبلج ، حتى ترى الباطل زهوقا ولو كان عند هؤلاء استعداد لقبول الفيض الربانى .لوجدت صدورهم منشرحة للدين الحق .الذى أرسل الله به رسله . وإن الايمان ليفتح قلب الرجل .وإن على قلبه لزائغ العقيدة وباطل الدعاية .فما تخالط بشاشة الايمان قلبه حتى ترى الغشاوة عن عينيه تقشعت.والمغلق من قلبه انفتح ، فاذا هو قد أبصر جلال الايمان . وخر أمامه ساجداء

فمن هز كتفيه للحقيقة أمامه ،وسلك طريق الغواية ،وملأ قلبه بالشبهات. وأعد نفسه لقبول وساوس الشيطان. وقع فى الوبال والنكال(ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

(تهور الملحدين)

ايها الساده ليس من شك فى ان الملحدين متهورون حين يغترون بما عنـدهم من علم فينكرون أقدس عقيدة وأثمن جوهرة لدى الانسان . وهى دينه الذى يفديه بروحه واهله وماله وكثير منهم من لبس على نفسه فقام يزن الدين بميزان عقله السخيف وفكره الضعيف . ونظره السقيم. فهو فى ضلال مبين .وكأنه نسى انه يجب ان يكون فى الناس عالم وجاهل ومتبوع وتابع ومقلد ومقلد وكبير وصغير واختصاصى وغير اختصاصى سنة الله فى العالمين ولن تجد لسنة الله تبديلا فاى عقل ذلك الذى يجعله صاحبه ميزانا للدين . ألا فليعلم أنه ليس من الانصاف فى شىء ان يكون كل عقل حاكما فى كل شىء وإذا كنت ترى من الواجب عليك وقد رأيت نفسك مريضا أن تذهب الى الطبيب فتستشيره فى مداواتك . ولو رأيت (ساعتك) قد وقفت فانك لاتعبث فيها بل تذهب توا إلى الصانع لاصلاحها بل انك ترجع فى اكثر أمورك الى غيرك . فانت لاترضى ان تبت فى أمر زراعتك إلا بعد أن تستشير

أمينا عارفا . ولا فى امر قضاياك إلا اذا وليتها محاميا حازما فكيف بك فى مسائل دينك . وقضايا آخرتك تكتفى بهواجس عقلك، واوهام مخيلتك ، ولا ترجع إلى رجال الدين الذين قطعوا شطرا كبيرا من حياتهم فى بحثه والوقوف على اسراره ، وقد قيل بحق

شاور سواك اذا نابتك نائبة يوما وان كنت من اهل المشورات

فالعين تنظر فيها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وليس معنى ذلك ان تفهم أننا نقول لك ألغ عقلك وتعال اعتقد وأنت أعمى وإنما نقول لك ينبغي أن تراجع العلماء وتباحثهم وتفهم منهم بعقلك. وفكرك. وتأخذ عنهم مستعملا ثاقب نظرك فالعقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل فالعقل أساس والشرع بناء . ولا يغنى أحدهما عن الآخر . العقل بصر والشرع شعاع ولن يغنى البصر مالم يكن شعاع ولا الشعاع مالم يكن بصر، العقل كالسراج والشرع كالزيت فأذا لم يكن زيت لم يحصل السراج واذا لم يكن سراج لم يضىء الزيت. وقد قال بعض العلماء الشرع عقل من خارج ، والعقل شرع من داخل وهما متعاضدان متحدان ولكون الشرع عقلا من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر فى غير موضع من القرآن فى نحو قوله تعالى (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) ولكون العقل شرعا من داخل قال الله تعالى فى وصف العقل (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) فسمي العقل دينا ، فنحن نعرف هذا ونقرره ونقول كما قال العربي

لولا العقول لكان أدني ضيغم أدني إلى شرف من الانسان

فمزية الانسان إنما هي بالعقل . ومن لم يستعمل عقله فقد أضاعه وهو نعمة كبرى : قال : فيها الامام علي كرم الله وجهه : والله ليسبقن إلى جنات عدن يوم القيامة أقوام ما كانوا بأكثر الناس صلاة ولا صياما ولا حجا ولا عمرة .ولكن

على قدر عقولهم ولعل سر ذلك ما يظهر من قول وهب بن منبه لازالة الجبل صخرة صخرة . وحجرا حجرا . أيسر على الشيطان من مكابدة المؤمن العاقل

ولقد نقل عن أبى زكريا . إن الرجل ليتلذذ فى الجنة على قدر عقله وقال مطرف . ما أوتى عبد بعد الايمان أفضل من العقل . فعقل المؤمن . هو الذى يهديه إلى الصراط السوى . عقل المؤمن هو الذى يجعل صفته كما قال على (قوة فى دينه . وجرأة فى لينه وعمل فى علم . ونشاط فى هدى . وكيس (١) فى رفق . لا يغلبه فرجه ولا يفضحه بطنه . نفسه منه فى عناء . والناس منه فى إعفاء (٢) لا يغتاب ولا يتكبر)

فالعجب لك أيها الملحد حيث لا ترضى لشرابك إلا أن يروق وان يصفى أما دينك فترضى له بالبقاء على القذا . ويل لك . ورحم الله عبدا أنفه إلى طاعة الله مخزوم . وقوله بالتوكل عليه محزوم . فليس لله حاجة فى ان يعذب عباده المتقين (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما)

(الملحد أخس الناس عقيدة وقدرا)

أيها السادة . إن من اتعس العقائد . وأخسها قدرا . تلك التى تنطوى عليها قلوب الزنادقة . لان طريقتهم تباين . فى آثارها كل أثر للديانات . وتناقض فى نتائجها كل نتيجة للعقائد الدينية . فأننا لو بحثنا قليلا لوجدنا أن لكل عقيدة لوازم وخواص لاتزايلها . ولو دققنا النظر فيما أكسب الدين المجتمع من مزايا لطال بنا البحث . ولكن نقتصر على ثلاثة اشياء قال فيها الاستاذ الامام الشيخ عبده رحمه الله : إن كلا منها ركن لوجود الامم . وعماد لحفظ كيانها . وأساس تبني عليه وحدتها الاجتماعية

---

(١) أى عقل في ترفق (٢) في عافية وراحة

أولاها التصديق بان الانسان ملك أرضي وهو أشرف المخلوقات

وثانيتها يقين كل ذى دين . بأن أمته أشرف الامم وأن كل مخالف له فعلى ضلال وباطل

وثالثتها أعتقاده بأن بنى نوعه إنما وجدوا فى هذه الحياة ليحصلوا كما لا يهيؤهم للعروج إلى عالم أرفع . وأوسع من هذا العالم الدنيوى . والانتقال من دار ضيقة الساحات . كثيرة المكروهات جديرة بأن تسمى بيت الاحزان . وقرار الآلام وحصن الاكدار ، إلى دار فسيحة الارجاء والساحات ، خالية من المكدرات والمؤلمات لانهاية لسعادتها . ولاغاية لبقائها .

فهذه العقائد الثلاث بها من الآثار الجليلة فى المجتمع الانساني مالا يدخل تحت حصر

أولا . فان الاعتقاد بأن الانسان أشرف المخلوقات يرفع المعتقد ضرورة عن الخصال البهمية . وهو أشد زجرا لأبناء الانسان عن التدابر والتقاطع . ولو سرحنا الطرف إلى قوم من المتوحشين لا يعتقدون هذا الاعتقاد . بل يحسبون أن الانسان فصيلة من فصائل الحيوانات . فماذا نرى فيهم . إننا لانري فيهم إلا خلالا كلها اختلال . وأعمالا كلها ضلال ووبال . وأخلاقا كلها سافلة منحطه . وعقولا قد وقفت حركتها . وغفلت عن تدبير أمرها . وإن وجد بينهم خلق مرضى . فهو يرجع إلى أصل الفطرة كما يوجد فى الكلب والثعلب أحيانا بيد أنه أندر من الكبريت الاحمر

وثانيا فأن اعتقاد كل ذى دين بأن دينه أشرف الاديان يدفع الانسانية الى الطموح لأشرف غاية . ويبعث فى المعتقدين حركة التفاخر والتنافس فى المجد . وينمي فيهم عاطفة التسابق إلى شرائف الامور ، ويغرس فيهم حب الاستطلاع وطلب المعارف . والتوسع فى العلوم والفنون . والأبداع فى الصنائع . ويحملهم على تتبع وسائل المدنية الصحيحة . وانها لأبلغ فى سوق الامم إلى منازل السعادة والسؤدد والشرف من غالب قاسر ، وإمام عادل قاهر . ولو

ولو اتيح لك أن تلمح قوما قعدوا عن هذا اليقين . ولم يروا بأعينهم من بنى جنسهم من يتصف بذلك لوجدت حالهم فى فتور ، وهممهم فى قصور، وديارهم فى افتقار ومسكنة ، ونفوسهم فى ذلة وهوان .

وثالثا فأن الاعتقاد بأن الانسان ما وجد فى هذه الدار الا ليتهيأ للعروج إلى دار أرفع وأعلا منزلة يورث صاحبه كمالا فى الخلق . وطهارة فى الضمير . وعلوا فى التفكير . ويسوقه سوقا لاضاءة عقله بالعلوم والمعارف . وتشحيذ ذهنه بالبحث والاستقصاء وتنوير قلبه بالرياضة والعبادات . فهذه العقيدة أحكم مرشد . وأهدى قائد للانسان الى المدنية الصادقة . القائمة علي صراط العدل . وقسطاس المساواة المستقيم . وانك لو تحللت جيلا من الناس حرم هذه العقيدة .لوجدت فيه أرذل الاخلاق وأسوء السجايا وابدى لك فيه غل وشقاق . وكذب ونفاق . وحيل وتدجيل . وخداع وشره وأباطيل، وغدر واغتيال وهضم للحقوق مع جلاد وجدال. ولاحسست فيه جفاء للعلم . وغشوة عن نور المعرفة . وبينما يرى غير المتدين ضنينا بنفسه . بخيلا علي الناس بما فى يده ، رخيصة أرواحهم وأموالهم عنده . ما دام هو قد سلمت له نفسه وأمواله . يرى المتدين عطوفا عليهم . محبا لهم ما يحبه لنفسه محافظا على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم . بل ويحافظ على دينهم ولو هلكت نفسه . وذهبت ضحية هذا الوفاء . والادلة على ذلك كثيرة مشهورة . فحوادث الأئمة مع المأمون بالنسبة للقول بخلق القرآن لا تخفى علي أحد . ولقد روى وهب ابن منبه أن ملكا كان يحمل الناس على أكل لحم الخنزير . فأتى بأفضل أهل زمانه ليأكله . ورق له صاحب الطعام فوضع له جديا مكانه . وأبى العالم أن يأكله مع هذا . فلما أمر بقتله . قال الشرطى . ما منعك أن تأكل منه . وهو لحم جدى . قال خفت أن يفتتن الناس بي . فان أكرهوا على اكل الخنزير . قالوا . قد اكله فلان . فيستننون بى وأكون فتنة لهم . فقتل رحمه الله ولم يقبل أن يكون سببا فى فتنة

الناس فى دينهم ولقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . أنه استعمل رجلا من بنى أسد وأعطاه العهد . وبينما هو فى مجلسه إذ جيء لعمر ببعض ولده . فقبله فتساءل الرجل قائلا. أتقبل؟ والله ماقبلت ولدا قط فقال عمر. فأنت والله بالناس أقل رحمة . هات عهدنا لاتعمل لى عملا أبداً . فأخذ عهده منه وأمره بالانصراف. خوف أن يفتن الناس فى دنياهم .

وبالجملة . فليس شيء يفعل بالنفوس فعل الدين إذا استولى سلطانه على عرش الافئدة . ولو أردنا أن نعدد مايورثه الدين الأمم من أمهات الفضائل التي قد ترفع شأنهم . وتكثر عزهم . وتنشر فى العالمين ذكرهم لطال بنا البحث . وخرجنا عن المقام

(انكار الملحد وجود الله مصادمة للفطرة)

أيها الساده . . من يدقق النظر قليلا يري أن الله سبحانه فطر الانسان على اعتقاد الالوهية . وقد أودع فى فطرته من الاستدلال مابه يصل من الآثار على مؤثرها . ومن المقدمات إلى نتائجها . ولذا تتملكه الدهشة إذا رأى أثراً وسط صحراء منقطعة عن المارة . ومتى عرف أن هذه المفازة كانت عامرة بسكانها. أو أن سائحاً مر بتلك البقعة زال ذلك الاستغراب وانمحى أثر الدهش . واطمأنت نفسه لأنه عرف سبب ذلك الأثر ،وكما أن العقل لايستطيع أن يفهم وجود صنعة بدون صانع . ولا أثراً بدون مؤثر . كذلك لايستطيع أن يفهم أرضاوسماء. وبحارا وأنهارا وجمادا وحيوانا . وحبا ونباتا . وجنات ألفافا. بدون إله أوجد ذلك (إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب) (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والارض مددناها

وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب)(ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل)

ولا يهولنك أن من بين من ينكر الالوهية طائفة ممن درسوا العلوم والفلسفة وضربوا فيها بسهم وافر . فانهم قد فسدت فطرتهم . وخرجوا عن حدود الانسانية الصحيحة . وطرحوا عقولهم وراءهم ظهريا . وإلا فانك إذا أخبرت فوجا من الناس بأن رجلا أراد أن يؤلف كتابا . فرأى أن ذلك الكتاب قد ألف وطبع . ووضع أمامه ولم ير له مؤلفا ولا واضعا لما وجدت منهم إلا السخرية بك . والاستهزاء بقصتك المضحكة . وخرافتك المخترعة .

وليت شعرى كيف استطاع هذا الانسان أن ينكر وجود الله . ويكلف نفسه التصديق بأن هذه العوالم ومثلها هو نفسه وجدت من غير موجد مع أنه لا يستطيع أن يصدق بتلك القصة التي هي وجود كتاب واحد من غير موجد أليس لانه صارم للمعقول منافر للعادة . لا يتفق مع النظام الكوني . وسنن الكائنات . فلم لا يكون ذلك من باب أولى

ولعمرى إن المبطل لابد وأن يتخبط ولا بد أن تقوم عليه الحجة من مفترياته ولقد روى بعض المفسرين أن الامام ابا حنيفه دعي لمناظرة طبيعى عند الخليفة فتأخر الامام أبو حنيفة عن الموعد المضروب ساعة ثم حضر فسأله الطبيعى عن سبب تأخره . فقال لقد حضرت إلى شاطىء النهر . ولم أجد سفينة فتضايقت . واذا بالامواج تقذف ألواحا فتجمعها . واذا بالالواح تصير سفينة كاملة فحضرت عليها فرد الطبيعى قائلا . وهل يعقل ذلك يا أستاذ ؟ فأجابه على البديهة . كما لا يعقل أن يوجد ذلك العالم الكبير بدون صانع فأفحم ذلك الطبيعى من ساعته وقامت عليه الحجة ولقد رد الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده على مفتريات هذه الطائفة التي تنكر الالوهية مطلقا وتزعم ان المادة بما لها من القوة وما يلابسها من الادراك تجلت وتتجلى

بأشكال العالم وتنظيم الكون هذا التنظيم البديع .الخ ويقولون ان المادة عندما تظهر بصور الاجساد الحية نباتية كانت او حيوانية تراعي بما لابسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع. فتنشيء لها من الاعضاء والآلات ما يفي باداء الوظائف الشخصية والنوعية مع الالتفات الى الازمنة والامكنة ويرون ان الاجسام مركبة من الجواهر الفردة كما يرى اسلافهم المتقدمون، فرد عليهم الاستاذ قائلا ما ملخصه انه بعد ما يلزمكم من عدم انطباق رأيكم فى علة نظام العالم على رأيكم فى تركيب الاجسام « وذلك لانه يلزم على القول بشعور المادة ان يكون لكل جزء (ديمقراطيسي) شعور خاص كما يلزم أن تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الاجزاء اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء ويلزم أيضا أن يكون كل جزء (جوهر فرد) يحتوي على أبعاد غير متناهية وهو فى صغره لا يدرك ولا بالمجهر (المنظار المعظم) اذ العلم عندهم انما هو بارتسام الصور فى ذات العالم وهو مادى والصور العلمية على هذا الزعم غير متناهية وكلها يرتسم فى مادة الجزء العالم فيكون فى كل جزء وهو متناه الى غاية الصغر أبعاد غير متناهية للصور الغير المتناهية وهذا مما تبطله بداهة العقل»

وبعد هذا فأنى سائلهم كيف اطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء ، وبأية آلة أفهم كل منها باقيها ما ينويه من مطالبه واى مجلس من مجالس الشورى عقد للتشاور فى ابداع هذه المكونات العالية التركيب البديعة التأليف، وانى لهذه الاجزاء ان تعلم وهى فى بيضة العصفور مثلا . ضرورة ظهورها فى هيئة طير يأكل الحبوب . فمن الواجب ان يكون له منقار وحوصلة لحاجته فى حياته اليهما ، واذا كانت فى بيضة الشاهينى والعقاب فمن اين لها العلم بأنها تقوم طيرا يأكل اللحوم فلا بد له من منسر ومخلاب يصول بهما فى الصيد

لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ثم ينسر لحمه ليأكله . ومن اين لهاوهي فى مشيمة الكلب ان تعلم انها ستكون على صورة انثى الجرو وتكبر وقد تلد اجراءمتعددة فيلزم لها من الحلمات بعددها

ومن لهذه الاجزاء المتبددة ان تدرك حاجة الحيونات الى القلب والرئة والمخ والمخيخ وسائر الاعضاء والجوارح . فليت شعرى هل يحيرون جوابا أم يرتبكون ام يقولون ان كل جزء من هذه الاجزاء الصغيرة يعلم جميع ما كان وما يكون ويحرص كل منها على مراعات نظام الكون واركانه فيتحرك على حسب ما تقتضيه الحاجة فى التكوين . اللهم ان هذا لا يقول به عاقل سبحانك هذا بهتان عظيم وتقدم فى محاضرتنا السابقة (الله لا الطبيعة) مايغنى عن التطويل فى هذا المقام

الملحدون والدنيا

أيها السادة . إنا نعرف أن الذى أخذ بهؤلاء الملاحدة عن الاتعاظ . وأبعد بهم عن ربهم إنما هي مظاهر هاتيك الحياة . التي شغلتهم بباهر زخرفها . فكان حقا علينا لزاما أن نقول لهم كلمة عنها لعلهم أو لعل من يغتر بهم يفيقون من سكرتهم التى فيها يعمهون . حتى يكونون أهلا للمخاطبة بالحجة والبرهان فنقول لهم ياهؤلاء . إعلموا ان مظاهر هذه الحياة لا تؤدى للروح سعادتها . ولا للقلب لذته . فأن تلك اللطيفة الربانية ليست من جنس هذه الارض فلا تكون شهوتها فى هذه الارض وماعليها ، أما غيرها من الجوارح فقد يستوفى مأربه منها . فالروح لا توجد شهوتها إلا فى السماء . والقلب لايرى لذته إلا مع الملائكة والقديسين . وهو الملك وسائر الجوارح رعيته . فمآرب الرعية قد توجد فى هذه الدنيا . أما مآرب الملك فقد تسموا عن ذلك وتعلو ، فالقلب الروحاني النوراني لاتوجد لذته فى هـذه

المظاهر الكثيفة . إنما توجد بالنور الذى يقذفه الله تعالى فى قلب المؤمن حتي يشرح صدره . ويملأ ما بين جنبيه صفاء وسرورا . اما الدنيا بكلكلها فلا تستطيع ان تحصل للقلب روحانيته ولا تستطيع أن تقذف فيه نور السعادة والطمانينة، بل إن القلب إذا ملىء من منبع أرضى شقى بهذا جد الشقاء للتنافر بينهما فاذا أشرب حب المال شغل بحفظه . ونصب فى تنميته . واكثر التفكير فى المحافظة عليه. ثم هو دائما فى خوف وخفقان . اشفاقا عليه من الطوارئ والآفات . ولذلك يقول الله تعالى «ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا » بل إن مطالب الجسد وإن توفرت فى زخارف هذه الحياة ومظاهرها من مأكل وملبس ومشرب ومركب فانها لا تخلو من عناء التحصيل ونصب الجد . وآلام الانشغال ، وما كانت الدنيا جوادة بسعادتها بل ما كانت السعادة فيها إلا طيف خيال وسانح آمال إذا رمت يوما ان تلمسها باليد أو تطعمها بذوق حسك الرقيق لم تجد لها ملمسا ولا طعما ولذلك صدق القائل ذاما لها:

إن الدنيا دار عناء ، وآخرها فناء حلالها حساب . وحرامها عقاب، دار غير وعبر . وسقم وهرم ، دار غرور حائل . وزخرف نائل وعز زائل . وظل آفل، مقبلة فى حال الادبار، مغررة تأخذ بالابصار

دار متي ما أضحكت فى يومها   أبكت غدا بعدا لها من دار

هى دار ممر الى دار مقر مثلها مثل الحية لين مسها . قاتل سمها يهوى اليها الغر الجاهل . ويحذرها اللبيب العاقل . الدنيا كالمرأة الغادرة الماكرة . تخدع الانظار بدمامتها. وهى لاصحابها قاتله، فلا ينبغي اللهو بها . وما خلق الانسان عبثا فيلهو . ولا أمهل سدى فيسلو . فما احسن الزهد فيها . حتي يقتصر علي الحلال . والرفض لها حتى لا يقع فى الحرام فقد حفت بالشهوات وعمرت بالآمال. وتزينت

بالغرور . لا تؤمن فواجعها ولا تحصى غوائلها (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح) الدنيا كالماء الملح الذى لايزداد شاربه شربا إلا ازداد عطشا . وسعادتها التى يطلبها المرء كالعظم الذى يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلا يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمى فاه . ولا يحصل منه شيئا وطالبها كالحدأة التي تطير بقطعة من اللحم فيجتمع عليها الطير فلا تزال تدور وتدأب حتى تعيا وتعطب . فاذا تعبت ألقت ما معها ، وهى كالكوز من العسل الذى فى أسفله السم . فيزاق منه حلاوة عاجلة . وآخره موت زعاف . وأيضا هي كاحلام النائم التي يفرح بها فى نومه ، فاذا استيقظ ذهب الفرح

هذا حال الدنيا ايها الاخوان فكلها أوصاب وآلام وبلاء وعذاب. أوليس الانسان إنما يتقلب فى عذابها من حين يكون جنينا إلى ان يستوفى ايام حياته ولقد أحست بذلك عبقرية حكيم فقال

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وانها لاوسع مما كان فيه وارغد

نعم فأنه اذا كان طفلا ذاق من العذاب الوانا . إن جاع فليس به استطعام أوعطش فليس به استسقاء . أووجع فليس به استغاثة مع مايلقى من الوضع والحمل واللف والدهن . والمسح، إن ينم على ظهره لم يستطع تقلبا ثم يلقى اصناف العذاب مادام رضيعا فاذا افلت من عذاب الرضاع أخذ فى عذاب الادب . فأذيق منه الوانا من عنف المعلم وضجر الدرس وسآمة الكتابة ثم له من الدواء والحمية والاوجاع والأسقام أوفر حظ وأكبر نصيب ، فاذا ادرك . كانت همه فى جمع المال ، وتربية الولد ، ومخاطرة الطلب والسعي والكد والتعب ، ثم انواع عذاب الهرم لمن يبلغه

ويرحم الله الزمخشري حيث يقول : الدنيا خدع . والناس بدع . والموت

لا ينجو منه الاعصم (١) والصدع (٢) .فخذ إن شئت وإن شئت فدع

ويرحم الله ذلك الزاهد الذى زار ملكا فعمل له استعراضا لزخارف ملكه وكل ما عنده من خدم وحشم . ثم قال له الملك ماذا رأيت ؟ فقال رأيت شيئا ينقصه شيء . فقال وماذاك ؟قال أن تعمد الى أطارف ملكك فتضرب عليها سورا يكون لك حصنا حصينا فلا ينفذ اليك الموت منه أبدا،فقال وأنى لى بذلك فقال وما الفخر اذا بشيء كان لغيرك ثم صار اليك . ثم يخرج من يدك الى غيرك. !!وزار آخر ملكا فوجده قد شغله ملكه عن الآخرة فقال له أرأيت أيها الملك لو أنك ببرية فحبس عنك الماء وبلغ العطش عندك مبلغه أفلست تفدى تلك الشربة بملكك فقال نعم . قال هب انك حصرت ببول وطلب منك ان تفديه بملكك افلست تفعل قال نعم . قال كيف تلهوا بمالا يساوى شربة ولا بوله .

يادنيا كم لك من أكباد جرحى ، ومن أجفان قرحى تفجعا للمصبوب من فراقك فوق رؤوس عشاقك .على ان نكاياتك لاتحصى ،وشكاياتهم عدد الحصى فماذا لكم بعد ذلك يامن تفتخرون بمتاع هذه الحياه، وتجهدون انفسكم وراء زخارفها حتي أودت بكم فكذبتم آيات الله ورسله وذلك شر انواع الضلال والبهتان . هل آن ان ترجعوا عن غيكم وان تحكموا عقولكم ام حق عليكم قوله تعالى «ومن يضلل الله فلن تجد له وليامرشدا»

الملحدون وقصور العقل البشرى

أيها السادة .أنى أريد ان أنكلم ساعة مع أولئك الذين اختاروا لانفسهم الالحاد .وانى ارجو منهم ان يتجردوا عن ماتملك انفسهم . وانطبع على صفحات صدورهم عن تقليد واستحسان لاعن دايل وبرهان .وان يتخلوا عن تلك الرعونه

---

١) الغراب ذو المنقار الاحمر ٢) هو الشاب القوي من الوعول

وعن ذلك الصلف الذى يحجب عقولهم عن الحقائق . ويعلو بأنوفهم عن الرضوخ للحق فانا نريد ان نخاطب العقول . وان نفتح امامها باب النظر . وطريق الفكر الصحيح علها تجد من نفسها وازعا . ومن ضميرها زاجرا . عن تلك الغفلة . وذلك الطيش . فنرى الانصاف يتغلب على الاعتساف والرشد يقذف به على الغى فيدمغه فاذاهو زاهق . وإني لواثق تمام الثقة ومطمئن غاية الاطمئنان، إلى انهم لو أعارونا اسماعهم وتخلوا عن تقاليدهم وتناسوا ظنونهم . وأفنوا شكوكهم . وتخلصوا من اهوائهم، لتلاقوا معنا فى نقطة واحدة . ولندموا على أن اضاعوا أعمارهم فى غمرات الشيطان وظلمات الشكوك والاوهام

فان كل مفكر من بنى الانسان إذا لم يعرف الديانات يجد فى نفسه باعثا قويا للوقوف على جواب هذا السؤال ، لم خلقت ؟ ولم أعيش ؟ وما عاقبة هذه الحياه !

وكل ضمير حى يحس فى نفسه بقلق يستحوذ عليه من جراء ذلك ، لان وجوده فى هذه الحياة فترة من الزمن « قلت أو كثرت » ثم يتبعها الفناء . مدعاة لعدم الطمأنينة ، بل مجلبة للكدر والقلق ، فلا بد من أن يردد فى نفسه متسائلا؟ لم خلقت، لم وجدت بعد أن لم تكن؟ ألتلك الحياة القصيرة؟ الستين فما يقرب منها، وهل كل نصيبك من الابدية أن تظهر فوق هذه البسيطة لحظة كفقاقيع الماء تظهر ثم تنمحى فلا تعود أبدا ، وهل ما تقدم من خير أو شر فى تلك الفترة (مدة العمر) ليس لك او عليك منه شيء ؟ اذا فلماذا تتألم بتقييد نفسك عن ملاذها وشهواتها ولم لم تطلق لها العنان حتى تتمتع بكل ما تبتغي ، وتلتذ بكل ما تشتهى ، وان تألم الغير وان تعذب ، فيجب الا يكون ما فى الارض الا نعيمك ، وما فى الكون الا لشهواتك ، تهزء من آلام الغير ، وتهز كتفيك احتقارا لمن يقول هذا لى وهكذا

فلو لم توجد رسل ، وتبعث بديانات ، وتبين للناس الحياة وعاقبتها ومصيرهم

بعدها ، لكان العالم شعلة من نار ، أو كتلة من الظلام الحالك والليل البهيم ، ورب قائل يقول : إنا نحكم بوجود عبقريين فى العالم لهم سداد الرأى ، وبعد النظر ، فهم بنظرياتهم يكفونا مؤنة الانبياء والتدين

فنقول لهذا القائل : إن مثل هذا الحكم من غير اعتماد علي شيء سابق غير صحيح ، على انه لاثقة لاحد بوجود عقل هو أرجح العقول يحكم على الاشياء حكمه الصحيح ، إذ العقول تتشابه وان تفاوتت. والكل من حيث الفطرة سواء . علي انها قد لا تستقر على قرار فقد تنقض اليوم ما أثبتته بالامس . وكثيرا ما كان الشيء يعد حسنا فى الماضى فقبحه المستقبل . وطالما كان الشيء جميلا فى نظر أمة ورذيلا مستقبحا فى نظر آخرين قال حكيم العرب ابو العلا المعرى :العقل ليس بمعصوم لانه ليس فى نفسه جوهر امستقلا عن هذه الحياة المادية استقلالا تاما بل هو بها متأثر ولها خاضع ومن هذا اختلفت أحكامه فأثبت الشيء ثم نفاه واوجبه ثم سلبه وفى ذلك يقول

و يعترى النفس انكار ومعرفة   و كل معنى له نفى وإيجاب

بل إن سداد الرأى ، وصحة الحكم من الانبياء لم توجد فيهم لبشريتهم المجردة بل ذلك ناشىء عن الفيض الالهي . والمدد الربانى الذي يحيطهم به فى كل لحظة وحين حتي قيل « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى »

وأما غير الانبياء فأن وجد منهم سداد فى رأى فليس ذلك متمشيا مع كل رأي وقد يكون الانسان فيلسوفا فى أمر ويكون فى آخر من اجهل الناس به. وقد يكون حكيما فى معنى جاهلا جهلا مركبا فى غيره . علي أن من اشتهر بسداد الرأى من الحكماء والفلاسفة « ففضلا عن كونه نسبيا » فهم إما كانوا متصلين بالانبياء . أو كانوا يستمدونه من آراء الغير ونظرياته عن تجارب أو ابتكار يخالفه فى ذلك

الكثير من أنداده ونظرائه . ولذلك تجد فى المسائل النظرية بين العقلاء اختلافا كثيرا . فالعقول مهما جدت فى سبيل المعرفة كان ما تجهله أكثر مما تعلمه. قال الامام الشافعى رضى الله عنه : إن للعقل حدا ينتهي إليه كما أن للبصر حدا ينتهي إليه

وقال الامام الغزالى « لا تستبعد أيها المعتكف فى عالم العقل أن يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه مالا يظهر فى العقل » وبنى على ذلك قوله إنه بعد وقوع بعثة الرسل وثبوت تصديقهم بالمعجزات ينتهى تصرف العقل . ويتلقى من الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقوله فى الله تعالى . وفى أمر المبدأ والمعاد

ولهذا أيضا كان يرى الشيخ الاكبر قدس سره تقديم دليل السمع على دليل العقل فيقول

على السمع عولنا فكنا أولى النهى ولا علم إلا ما يكون عن السمع

ويقول كيف للعقل دليل والذى قد بناه العقل بالكشف انهدم

الى أن قال كل علم يشهد الشرع له هو علم فبه فليعتصم

واذا خالفه العقل فقل طورك الزم، ما لكم فيه قدم

ولو اننا فتشنا فى تاريخ كبار المتدينين : لوجدناهم من ذوى العقول الكبيرة والذكاء المفرط فالعقل الصحيح هو الذى يستسلم للدين و يعرف أن ما جهل أكثر مما علم . فيقبل على الانبياء و يأخذ عنهم حيث ثبت له بالمعجزة القاطعة صدق قولهم ، ولذا قيل

إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت ماأنيه وتم بناؤه

وقال لقمان لابنه يابنى اعقل عن الله عز وجل. فان اعقل الناس عن الله عز وجل أحسنهم عملا ، وإن الشيطان ليفر من العاقل وما يستطيع ان يكابده ، يابنى ما عبد الله بشيء أفضل من العقل

وقال ابو الحسن البصرى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل عمل دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه اما سمعتم قول الفجار « لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، ومروءته خلقه ، وروى الضحاك فى قوله تعالى « لينذر من كان حيا » أي من كان عاقلا فالعقل أس الفضائل وينبوع الخير والسعادة ولذلك كنت ترى كبار الصالحين هم كبار العقول ولنضرب لك مثلا يدل على فطانة كبار المتدينين وعقليتهم الكبيرة : فقد روى عن عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم « أن ابليس جاء اليه فقال له ألست تزعم أنه لا يصيبك الا ما كتب الله لك ، قال بلى ، قال فارم بنفسك من هذا الجبل ، فأنه ان قدر لك السلامة تسلم ، فقال له يا ملعون ، ان الله عز وجل له أن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه عز وجل ،

ومن ذلك ما نقله ابن الجوزى عن الحسين بن على رضى الله عنهما « ان رجلا ادعى عليه مالا وقدمه الى القاضى ، فقال الحسين ليحلف على ما ادعى ويأخذه فقال الرجل والله الذى لا اله الا هو ، فقال الحسين قل والله والله ان هذا الذي تدعيه هو لك قبلي ، ففعل الرجل وقام فاختلفت رجلاه وسقط ميتا ، فقيل للحسين فى ذلك قال كرهت أن يمجد الله تعالى فيحلم عنه » وغير ذلك من الامثلة كثير

قد نستطيع بعد هذه المقدمات ان ننتهي بنتيجة هى ان العقل البشرى له حد محدود وطور لا يتعداه . وغاية لا يتجاوزها فى شأن العالم وصلاحه ، ولا يعلم النافع للجميع الا من انشأ الكل وفطره ، ولا يعلم النافع من الضار الا من وقف علي كنه الاشياء وقدرها وعلم بطبائعها وليس ذلك الا الله تعالى

من أنت يا رسطو ومن   أفلاط قبلك قد تفرد
ومن ابن سينا حيث هذ   ذب ما أتيت به وشيد

ما أنتم الا الفراش   رأى السراج وقد توقد

فدنا فأحرق نفسه   ولو اهتدى رشد الابعد

فمدبر الخلق وفاطره هو الذى يبين لعباده الخير والشر وهو الذى يصطفى من عباده من يقوم باعباء السفارة خير قيام لهداية البشرية ودعوتها الى بارئها ، ولو لم يكن رسل لكان العالم شعلة من نار وقودها المستضعفون وموقدها العتاة والجبارون

(الملاحدة يتعدون طورهم حين يتكلمون على النبوات)

أيها السادة تبين لكم مما مضى قصور العقل البشرى . وان له حدا محدودا . فكان على بعض الذين رق دينهم . وغلظ حجاب عقولهم أن لا يتكلموا فيما نسب الى الانبياء الا بعد التثبت مما يقولون . والا فليس من الحكمة فى شىء أن يتكلموا فيما لم يدركوا له تأويلا ، وليس من الصواب مطلقا ان يتعرضوا لما لم يسلكوا للوصول الى حقيقته سبيلا . لكنهم عمدوا الى النبوات وتكلموا فيها بشهواتهم وارخوا لانفسهم العنان حسب اهوائهم . كانما هى ظاهرة من ظواهر هذه الحياة ، يكفى فيها الحدس والتخمين ، غير آبهين لخطرها ولا ناظرين الى نتيجتها فتراهم ينقضون على ما جاء فى الدين من الروحانيات وامور الآخرة فستنكرونها لان طبعهم الخبيث لا يستمرئه واستعدادهم القاصر يضعف عنه فهؤلاء لو عرفوا قدرهم (ورحم الله امرأ عرف قدره) ووقفوا عند حدهم لاستراحوا كثيرا من عناء جلبوه لانفسهم وشقاء أوقعوها فيه

الا فليعلم هؤلاء أنهم ليسوا من فرسان هذا الميدان ، ولا ممن يشار اليه فى تلك الحلبة بالبنان فكل انسان لا يعرف الا ما يناسب استعداده الخاص ولا يستطيع ان يعرف ما تعالى عن استعداده مما يستطيع أن يدركه غيره ممن له ذلك الاستعداد الخاص ، ولذلك كان التفاوت بين أفراد الانسان عظيما جدا حتى

عد الواحد بالف بل بآلاف وكثيرا ما يدرك شخص شيئا يناسب استعداده
و يتعالى ذلك عن إدراك شخص آخر ليس له ذلك الاستعداد فلا يفهمه ولو اوتي له
فيه بألف برهان ، ولماذا كنت تقول لسوداني أو مصرى ساذج من قرنين مضيا
عن الكهرباء وآثارها فهل كنت تستطيع ان توقفه على تلك الآثار ؟ وكثيرا
ما نري الانسان يصمم على انكار شيء كدوران الارض وكريتها مثلا ثم يختلف الوقت
والبحث فيعتقد اليوم ما كان ينكره بالامس وليت شعرى لو ذكر لأرسطوا
وأفلاطون وغيرهما من الاقدمين أن الهواء مركب. والماء كذلك. والذهب غير ذلك فماذا
كان يقابل ذلك الا بأنه خرافة او جهل . ولقد استبانت تلك الحقيقة لفلاسفة اوروبه
والباحثين منهم حتى اعترفوا بأنهم كلما توغلوا فى العلم كلما تبين لهم انما يجهلون
اكثر مما يعلمون وان هناك ما يتعالى عن استعدادهم رحذروا من اغترار الانسان
بعلمه وقالوا ان الاغترار بالعلم مدعاة للجهل والحيرة ، وقال فيلسوف عظيم . انى
كلما توغلت فى العلوم والمعارف تبين أنى على شاطىء بحر التقط الصدف فى حين
أن يتيم الجواهر وعظام اللآلىء لاتزال غائرة فى الماء لاوصول اليها وعلي كل حال
فالقوة العقلية محدودة كالقوة الجثمانية وكما ان الجسم لايستطيع بقوته أن يحرك الجبل
ولا أن يصعد السماء فكذلك العقل الانسانى لايستطيع أن يدرك حقيقة ما لم يره
ومالم توجد فيه حاسته ولقد قيل أن حكم الطبقة الدنيا على الطبقة العليا غير مقبول
وحرم علي الصبى والحوزى مثلا أن يعيب علي من هو أقوي منه ادراكا .وأعلى منه
رأيا كسياسى يسوس مملكة ويرعى شأنها فمن الحكمة إلزام كل امرىء حده فلا
يحكم صغير العقل . قليل العلم .ضعيف الاستعداد على العظيم فى كل ذلك ، واذا
فمن الوقاحة وسوء الادب أن يحكم أولئك السوقة من الناس على الكملة العظماء
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

فلان حكمهم عليهم يبعد عن الحقيقة بعد الارض من السماء . وكيف

النسبة بين هؤلاء والانبياء . ولا نستطيع ان نقول انها كنسبة ما بين السوقة والملك، ولا ما بين القناة والمحيط والا نكن قد انزلنا من درجتهم وحططنا من قدرهم عليهم الصلاة والسلام . . فعليك ان رمت السعادة الحقة والانصاف المتواضع ان تبحث عن علماء الدين وتراجعهم فيما يقولون ، وتعمل بمشورتهم كما تعمل بمشورة الطبيب الحازم . وتصدقهم فى الروحانيات وفى كل ما جاؤا به كما تصدق علماء الطبيعة فى الطبيعيات ولا انت فى الروحانيات اجهل منك بالطبيعيات واحوج

فاذا كنت فى المدارج غرا ثم ابصرت صادقا لا تمارى

لا تكن منكرا فثم امور لطوال الرجال لا للقصار

واذا لم تر الهلال فسلم لاناس رأوه بالابصار

قال بعض الحكماء انما يستخرج ما عند الرعية ولاتها . وما عند الجند قاداتها وما فى الدين والتأويل علماؤه . . وليس الدين ارجوحة يستطيع كل صبى ان يلعب بها . فاحزن على نفسك واجهد فى لومها وشمر عن ساعد الجد ان اردت اللحاق برجال الدين لتعرف ما عرفوا فتطمئن كما اطمئنوا اما ان اردت خلاف ذلك فانا نقول لك

دببت للمجد والساعون قد بلغوا حد النفوس وألقوا دونه الازرا

وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم وعانق المجد من وافى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمرا انت آكله لن تبلغ المجد حتي تلعق الصبرا

فاعرف هذا رعاك الله ولا تكن ممن غرتهم الحياة الدنيا فباؤا بالخسران المبين فالعمر ينقضى مر الاعصار فاغنم بياض النهار وسواد الاسحار ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا إنك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا .

ملات النفس تيها وافتخارا فكيف وقد خلقت من التراب

سلكت سبيل الشيطان طيال حياتك فهل آن لك ان تسلك سبيل الرحمن وما سبيله الا ما رسمه القرآن وحدده . اما طريق الفلسفة فوعر لا يسلك ، وشاق لا يحتمل ، قال الرازى ولقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رايتهما تشفي عليلا ولا تروى غليلا ورايت اقرب الطرق طريقة القرآن

(غاية الملاحدة)

ايها السادة . ماذا يرجوا هؤلاء الملاحدة من وراء الحادهم ؟ وماذا يبتغون؟ لقد بحثنا عن آثارهم فى كل امة ، وعلى اي لون كانوا ، وبأى طريقة ظهروا فوجدنا ان غرضهم لا يخرج عن هدم كيان الانسانية ، ونسف بناء العدالة ، ومحق الملكية الشخصية ، ونبذ الاديان قاطبة . وعدها اوهاما باطلة ، وخيالات صورتها الافكار البشرية لا القوى الربانية فلا شرف لملة على اخري كما لا فضل لنبي على آخر ، ويذهب بعضهم الى جعل الانسان فى موضع اخس الحيوانات قدرا ، ليفتحوا له باب الشهوات على مصراعيه ، ونفوا يوم القيامة وكذبوا ان يكون للانسان حياة غير هذه الحياه . وقرروا ان لا سعادة للشخص الا ما يستوفيها فى هذه الدار ، لذلك ذهبوا الى الاباحة والاشتراك المطلقين وزعموا ان جميع المشتهيات حق شائع . وان من اختص نفسه بشيء منها عد مغتصبا و انانيا ومفتاتا على حق الطبيعة

(ضرر الالحاد)

أيها الاخوان . كيف يتصور الانسان أمة من الامم لا عقيدة لها بالله ولا باليوم الآخر ولا بالرسل المقربين ؟ بل كيف يتصورون العالم كله وقد فقدت

منه تلك العقائد وتحققت فيه أحلام الملحدين ؟ انه لوصح ذلك لما بقى للشهوة قامع ، ولا للاهواء رادع ، ولكان العالم بركانا من الشر يقذف بالانسانية الى هاوية الشقاء الابدى ، فالعقيدة الدينية وازع قوى لكبح جماح النفس عن شهواتها ، وزاجر عظيم يمنعها عن العدوان ظاهره وباطنه . وحاسم صارم يمحو أثر الغدر . ويستأصل شأفة التدليس والفتك بالارواح ونهب الاموال ، واسترقاق الاحرار . لانها تعد فعل ذلك نهاية الخسة وغاية الدناءة لاعلائم الشرف ولو احق الشجاعة ، فضلا عن العقاب الزاجر فى العاجل والآجل ، فالملحدون اذا على أى شكل كانوا وأى لون ظهروا هم صدمة شديدة على بناء الانسانية وصاعقة مجتاحة لهيكل القومية . ومفسدة عظيمة للذرية يفزع صداها الاجيال المقبله . فكم أماتوا من قلوب حية . وكم غيروا من استعدادات طاهره ، وكم أفسدوا من أخلاق أغرار المسلمين شرقا وغربا . وزعزعوا من عقيدتهم بما وسوسوا لهم عمدا وقصدا ، وساعدهم فى تلك الازمنة على الخصوص إهمال التربية الدينية للأبناء . حتى انطوت نفوسهم على كثير من الاخلاق الرديئه وتجردت من كثير من السجايا الكامله . التي كان عليها ابناء هذه الامة الاسلاميه

هذا الزمان الذى كنا نحذره فيما يحدث كعب وابن مسعود
ان دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

فتبدلت شجاعتهم بالجبن ، وصلابتهم بالخور ، وجرأتهم بالخوف وصدقهم بالكذب وأماناتهم بالخيانه ، ووفاؤهم بالغدر ، وامتلأت نفوسهم بالخبث ، وطوياتهم بالمكر والخديعه ، وأضحوا ذئابا فى زى الآدميين ووحوشا لكن على اهل الدين : لان الملاحدة استطاعوا أن يصوروا لهم أن كل كمال يدعوهم إليه اهل الدين فهو نقص وأن كل فضيلة رذيله . وخيلوا لهم صدق مايزعمون بما يحدثونهم به من انه لا حياة غير هذه الحياة ودعوتهم لما فيها من إطلاق العنان للشهوة محببة الى النفوس . وناهيك بمن

قول ان الطبيعة جعلت حق المأكل والمشرب والابضاع مباحا مشاعا بين الآكلين والشاربين والمباضعين . بدون أدنى تخصيص، فما الذى يحمل الانسان على حرمان نفسه من بضاع بنته وأمه وأخته وتركهن لغيره يتمتع بهن كيف شاء . ولماذا يقيد الانسان نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف العديدة مخالفا نظام الطبيعة العادل ولماذا يسد في وجه رغبته أبواب اللذائذ الطبيعيه ، ويحرم نفسه من كثير من الحظوظ الفطريه ، مع أنه لا يمتاز عن سائر الحيوانات ، فعلام يقول هذا حلال وهذا حرام، وإلام يقول هذا لائق وهذا غير لائق؟!!

خذ مثلا الروسيين اليوم وحتى الذين لا يساهمون جمعية اللا خائفين من الله تراهم ، ولا يشاطرونهم فى طريقهم ـ فأنهم لم يخلصوا من مضارهم ومفاسدهم لان الوهن قد تسرب إلى عقائدهم . والانحلال قد سرى إلى اخلاقهم من حيث لا يشعرون ولولا أن العادة لها تأثير على النفوس لما سمعت عنهم أى فضيله ، بل لوجدتهم غرقى فى بحار الشهوات لا فضيلة تجمعهم . ولا رذيلة تخلو منهم

وناهيك أن أكثر الناس مقلدون فى عقائدهم . منقادون للعادة فى أخلاقهم ، وأقل التشكيك وأدني الشبه يكفى علة لزعزعة قواعد التقليد . وضعضعة قوائم العاده

فوجود الملحدين فى كل أمة كفيل بأن يدخل الفساد بين صفوفها ، والبوار فى أخلاقها ، والنقص فى عقائدها ، ويجعل الفرد لا يدرى من أى باب دخل الفساد على قلبه ، ولا من أى ناحية وضع حجاب الغفلة علي فؤاده فيشيع بينهم ما حرم الله ورسله بلا تحرج ، وإن بقى كل منهم على ادعائه أنه يؤمن بالله واليوم الآخر . وأن ذلك اعتقاده واعتقاد آبائه لكن عمله يكون كعمل من ينفى ذلك كله ، ومن يعتقد أن لا حياة بعد هذه الحياة ، لسريان وباء الالحاد المهلك ، وطاعونه المجتاح

فماذا نقول بعد ذلك للملاحدة المجددين الذين ظهروا فى لباس المهذبين ودمموا ظواهرهم بألوان المحبين للوطن ، الراغبين فى رفعة شأن امتهم حتى زعموا

لأنفسهم الزعامة . وادعوا لها القيادة وصاروا يتشدقون بأن سعادتها فى دعوتهم و خيرها فى أيديهم فلما آنسوا الضعف من جانبها يسطو االخيانات بساطا جديدا . وفتلوا اسبالهم كبرا وعلوا و لقبوا انفسهم بالمجددين . فكانوا بذلك شركاء اللص وقرناء الدجالين وعظمهم الجهلة ، واكبرهم انصاف المتعلمين واتخذوهم هداة الوطن المرشدين . وقالوا هم الشاقون لامتهم طريق الحياة الصحيحه . وهم معهم فى اطباق جهل . وارتباق غباوة وفى اهب من دنس الرذائل ، ومسوك من قذر الذمائل

وانني لفي خجل من ذكرهم ، يدافعني الحياء عن رواية سيرهم وحكاية أعمالهم ، يسعون فى اقتلاع أساس أمتهم لشهوة بطونهم . ويجهدون انفسهم لكن لملء جيوبهم ، يقطعون روابط امتهم لحشو معدهم ، و يفكرون لكن فى الحيل التى تسد نهمهم . وليس فى وسع القلم ان يتحرك فى هذا المجال لشين ما فيه وما بقى من اوصافهم لا يخفي على كل ذى لب ، ومن اين لمنكر الجزاء ان يكف نفسه عن خيانة او يترفع بها عن كذب وغدر و نفاق وغش وغيرها من مذموم الفعال واي حامل يحمله على المعاونة والمرحمة ، وعلو الهمة والمروءة . وما اليها من الاخلاق الكريمة التي لا غنى لطيب حياة المجتمع عنها

الا وإن كثيرا من الناس قد غرتهم نعومة لمس هذه الافاعى ، وراقهم رقط جلودها ، وانتظام الوقش فيها ، فانخدع لهم بما التبس عليه من امرهم ، فصار يتمدح بزخرف قولهم ، ويتشدق بموه اباطيلهم ، و يقلدهم فى لسانتهم ، و يتخيل ان منهم من يكون رجل همة غوثا عند الضيق ، وعونا فى الشدة وموضعا للاسرار حيث فقد الناصح وعز الامين ، ولعمرى ان ذلك الغر واقع فى هاوية الشقاء الابدى يبكي عليه الاصدقاء والاهلون ،

حقيقة النبوة

« والحاجة إليها »

أيها السادة . من حقنـا ونحن نتـكلم على النبوات أن نعرف حقيقة النبوة والحاجة إليها فنقول

النبوة سفارة بين الله و بين خلقه يصطفى لها من يشاء من عباده ممن يكون صافى الروح كبير القلب عالى الهمة ، عنده استعداد فطرى لتحمل متاعب الدعوة الى الله ، معصوما عن المعاصى . متحليا بالصدق والامانة ، فطنا ذا قدرة على إفحام الخصوم والزامهم الحجة ، ليبلغ رسالته و يؤدى امانته ، يصدع بدعوة ربه ولا يخشى فى الله لومة لائم ، لو اجتمع الخلق على ان يزحزحوه عن دعوة ربه مااستكان لهم . ولو أغروه بكل ماعلى الارض من متاع مااستلان لهم لانه ماينطق عن الهوي إن هو إلا وحى يوحى

ولما كان الانسان عالما وسطا بين عوالم الملك والملـكوت. وكان الله قد جعله صورة مصغرة لجميع العوالم فأنه مع صغر حجمه أودع الله فيه كل معانى الانواع من جماد ونبات وحيوان وشيطان وملك ـ وأكرمه الله و بجله من يوم خلقه حتى قال للملائكته (اسجدوا لآدم) وخلقه فى أحسن تقويم ، فالانسان هو صورة الكون أجمع . ودليل الله الذى لا يمارى (وليس أصله قردا كما يقوله المعتوهون) ولا متوحشا فى مبدء خلقته كما يقوله الممررون . بل اولهم (آدم) وهو نبى من أنبياء الله مهذب راق متصف بأوصاف الكمال التي لوانفق هؤلاء ملء الارض ذهبا ماوصلوا اليها ولا بلغوا قدرها بيدأن الانسانية انحدرت حتى وصلت الى من يشعر بأنه من قرد أو من فصائل الوحوش؟!! ولما كان هذا شأن الانسان فى المنزلة عند الله وقد وهبه الله هذه اللطيفة الربانيه (الروح) وتلك الجوهرة الصمدانيه (العقل) كان لا بد له من

معرفة ربه الاقدس بقدر ما جعل فيه من أهلية لمعرفته . وما أودع فيه من آلات التفكير ولما كان الانسان قد يخطئ في النظر وقد يجمح نظره الى غير المطلوب فضلا عما ذكرناه لك من قصور العقل البشرى، وبالجملة فعلمه محدود. ووسائله علي كثرتها لا تؤدى إلا إلى غايتها ولقد يكون سقيما لا بد له ممن يعالجه. فأنزل الله الرسل مبشرين ومنذرين (وهو اعلم بمصالح عباده وما لهم فى فعله من نفع وما عليهم فى تركه من ضرر) وإذا كانت معلومات الله تعالى لا تتناهى كنا بالضرورة محتاجين إليه فى معرفة المصالح من المفاسد وهو الخالق للجميع والعالم بمصالحهم ، ونحن لا نشاهد الله عيانا ، ولا نكلمه شفاها فكان لابد من سفراء (مع اختلاف الازمنة) يخبرونا عنه جل وعلا ، والجاهل يحتاج إلى معلم ، والعاقل يحتاج إلى منبه ومرشد فلذلك أرسل إلينا الرسل وأخبرنا بالشرائع ، ومن لم يقل بذلك فأنه يخطب الزندقة ويحرك سلسلة الالحاد فالنبوة من عناية الله تعالى بالخلق

قال ابن سينا ما ملخصه الناس فى حاجة شديدة الى الاجتماع والشركه ومساعدة كل منهم الآخر وتوزيع العمل على كل ليقوم بنصيبه ولو تولى الشخص كل مهامه لعجز ولما استطاع . ولا بد اذا فى هذه المعاملة من الجانبين من سنة وعدل ولا بد من سان معدل . ولا بد من ان يكون بحيث يخاطب الناس و يلزمهم السنة فلا بد من ان يكون انسانا . ولا يجوز ان يترك الناس وآراءهم فى ذلك فيختلفون. و يرى كل واحد منهم ماله عدلا ،وما عليه جوزا و ظلما فالحاجة الى هذا الانسان فى ان يبقى نوع الانسان اشد من الحاجة الى اثبات الشعر علي الاشفار والحاجبين فلا يجوز ان تكون العناية الاولى تقتضى امثال تلك المنافع ولا تقتضى هذه التي هى اثبتها ،فلا بد إذا من « نبى »هو انسان متميز من بين سائر الناس بآيات تدل على انه من عند ربه يدعوهم الى التوحيد و يبين لهم الشرائع و يحثهم على مكارم الاخلاق و يرغبهم فى ثواب الآخرة و يكرر عليهم العبادات

ليحصل لهم تذكرة المعبود بالتكرير واستفادة ملكة الالتفات الى الحق والاعراض عن الباطل ، اهـ

وقال الجاحظ لو ترك الناس وقوى عقولهم وغلبة شهواتهم ، وكثرة جهلهم وشدة نزوعهم الى ما يرديهم و يطغيهم . حتى يكونوا هم الذين يحتجرون من كل ما افسدهم بقدر قواهم ، وحتى يقفوا على حد الضار والنافع . ويعرفوا فضل ما بين الداء والدواء ، والاغذية والسموم، كان الله تعالى قد كلفهم شططا واسلمهم الى عدوهم وشغلهم عن طاعته التى هي اجدى الامور عليهم ، وانفعها لهم ، ومن اجلها عدل التركيب وسوى البنية ، واخرجهم من حد الطفولية والجهل الى البلوغ والاعتدال والصحة وتمام الارادة والآلة ولذلك قال عز ذكره « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فلما كان ذلك كذلك علمنا ان الله تعالى حيث خلق العالم وسكانه لم يخلقهم الا لصلاحهم ولا يجوز صلاحهم الا بتبقيتهم ولولا الامر والنهي ما كان للتبقية وتعديل الفطرة معنى . ولما كان لا بد للعباد من ان يكونوا مامورين منهيين لا فرق بين عدو عاص ومطيع ولى ، علمنا ان الناس لا يستطيعون مدافعة طبائعهم ومخالفة اهوائهم الا بالزجر الشديد والتخويف بالعقاب الاليم فى الاجل اذ كان شأنهم ايثار الادنى وتسويف الاقصى واذا كانت عقول الناس لا تبلغ جميع مصالحهم فى دنياهم فهم عن مصالح دينهم أعجز فلما كان ذلك كذلك علمنا انه لا بد للناس من امام يعرفهم جميع مصالحهم وذلك هو « الرسول » فالرسول هو الذى يشرع الشريعة و يبتدئ الملة و يقيم الناس على ما ينفعهم . اهـ

وقال الفخر الرازى : إعلم ان اكثر الناس ناقصون ولا بد لهم من مكمل يكملهم ومرشد يرشدهم ، وهاد يهديهم ، وليس ذلك الا الانبياء عليهم السلام ، وبديهة الفطرة شاهدة بأنه يجب على الناقص الاقتداء بالكامل . اهـ

وسيأتي لهذا المبحث زيادة فى غضون الكلام الآتى فليتنبه إليها

(الوحى والرساله)

أيها الساده . لعله آن الاوان لان نتكلم على مشكلةالمشا كل فى نظر الملحدين والتى استطاعوا بسببها إضلال كثير من الاغرار المخدوعين. وهى ماذا كان الوحى وكيف أمكن أن يأخذ بعض البشر عن الله حتى يكون رسولا ، وهل يجوز أن يكلم الله بشرا ؟ وهل يكون كلامه من جنس كلامنا ، وكيف ينزل ملك من السماء وهو ليس بجثمانى ؟أبصورته أم بصورة البشر ؟ وما معنى تصوره بصورة؟ أفيخلع صورته ويلبس لباسا آخر . أم يتبدل وضعه وحقيقته؟ ثم ما البرهان أولا على جواز إرسال الرسل فى صورة البشر . وما الدليل على كل مدع منهم أفيؤخذ بمجرد دعواهم أم لابد من دليل خارق للعاده ؟ وان ظهر هذا الدليل أفيكون من خواص النفوس ام من خواص الاجسام ام فعل البارى سبحانه وتعالى؟. ثم ما الكتاب الذى جاء به افهو كلام البارى سبحانه؟ وكيف يتصور فى حقه كلام أم هو كلام الروحانى ؟ ثم هذه الحدود والاحكام كثير منها غير معقول . فكيف يسمح عقل الانسان بقبول امر لا يعقله ؟ وكيف تطاوعه نفسه بتقليد شخص مثله ؟ بأن يريد ان يتفضل عليه ولو شاء الله لا نزل ملائكة ،

(أيها السادة)هذه مجموعة شبههم التي وضعوها لتنفير الناس عن الديانات أتينا بها لنرد عليها فتكون حجة الله عليهم . وعلى كل من يجرى وراءهم . وتكون حجة لك ايها المؤمن المعتز بدينك . الفرح بيقينك . الخاضع لربك . المعظم لرسله صلوات الله وسلامه عليهم . وسترى ان شاء الله تعالى انا سننقضها واحدة واحدة بما لا يدع مجالا للشك . ولا محلا للريب واياك ان تتعجل بالحكم علينا . قبل ان يتم الموضوع كله . فكله آخذ بتلابيب بعض ، وليس هناك شىء يغنى عن شيء فلا تكن من المتعجلين. فنقول و بالله التوفيق

قد ثبت بالبرهان القاطع أن الله حكيم يضع الامور فى مواضعها فلا يتصف فعله بالعبث . ولا يمكن أن يكون قد خلق الناس عبثا ولا ينبغي أن يدعهم هملا . بل لا بد أن يرشدهم إلى أصلح الطرق لهم . ويدلهم إلى أشرف الغايات لامثالهم حتي ينالوا حظا خاليا من البؤس ، وسعادة لم يشبها ألم . وصفاء بعيدا عن الكدر فيظهر كرمه . ويبدوا احسانه . وتتجلى رحمته . بيد أن هذه الرحمة لا يمكن أن تكون إلا لمن يستحقها . وهى قدسية طاهرة فلا تكون الا للقدسى الطاهر . والقداسة والطهر والاستعداد الطيب والخبيث لا تبدوا للعيان . ولا ينكشف أمرها للناس ولا تقوم فيه الحجة إلا بالتكليف والعمل بمقتضاه أو مخالفته . فساغ أن يرسل رسلا بشرائع يعلمونها الناس ويلزمونهم بالعمل بمقتضاها . والسير علي سننها دون الانحراف يمنة أو يسرة . فمصالح البشر تتوقف على بعثة الرسل فما كان لميزان العدل يقوم بين الناس إلا ببعثتهم وما كان لله عليهم من حجة إلا بعد إرسالهم وهذا كله مقتضى الحكمة الالهية

وقد قدمنا البراهين على إثبات الحكم لله جل وعلا فى محاضرتنا السابقة (الله لا الطبيعة) كما قدمنا البراهين أيضا علي ان البارى تعالى هو خالق الخلائق ومدبر الاكوان . وأنه الملك الذى له الملك وهو على كل شىء قدير فلنكتف بذلك ثم نقول

إن حركات العباد قد انقسمت إلى اختيارية وغير اختيارية فما كان منها بالاختيار من جهتهم فيجب أن يكون فيه حكم وأمر لله سبحانه وتعالى الذي هو مالك أمرهم والقابض على ناصيتهم . وما كان منها لا بالاختيار فيجب أن يكون فيها تصريف وتقدير شأن المالك فيما يملك .

ومن المعلوم أن ليس كل أحد يستطيع أن يعرف حكم الله فى كل مسأله ولا أن يكاشف الله كل أحد فى ذلك الحكم (إذ الأمداد على قدر الاستعداد) وليس كل مستعدا لهذا . فلا بد إذا من واحد يستأثره بتعريف حكمه وأمره فى

عباده . وذلك الواحد يجب أن يكون من جنس البشر حتى يتناسب معهم فيأنسون به فى أخذ الأحكام عنه ، ولا جائز أن يكون ملكا لانه لا يمكن الاخذ عنه لكل أحد . وما كان يوجد معه ذلك الانس. ولما كان من يؤمن به قد يؤمن قهرا وقسرا لا رغبة واختيارا

ثم يجب أيضا أن يكون مخصوصا من عند الله بآيات خلقية هي حركات تصريفية وتقديرية يجريها على يده عند التحدى بما يدعيه تدل تلك الآيات على صدقه نازلة منزلة التصديق بالقول ؛ يعجز عن الأتيان بها كافة البشر . فاذا كان الله هو الفاعل لكل شيء . وقد أجرى الاشياء على طبائعها المعلومة منا الموجودة عندنا . فحين نجد مخالفة فى فعل من الافعال لهذه الرتب والطبائع كطبيعة استحيلت . وكأشياء فى حد الممتنع قد وجبت ووجدت وذلك كصخرة انفلقت عن ناقة خرجت ، وكعصا انقلبت حية أوميت أحياه إنسان . ومئين من الناس قد رووا وتوضؤا كلهم من ماء يسير فى قدح صغير يضيق عن بسط اليد فيه لا مادة تمده فلا نشك أيضا فى أن فاعل ذلك هو الله تعالى الذى احدث كل شيء (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي) وقد وجدنا تلك القوى قد أصحبها الله رجالا يدعون إليه ويذكرون انهم أرسلوا من عنده ويستشهدون به تعالى فيشهد لهم بهذه المعجزات المحدثة منه تعالى فى عين رغبة هؤلاء منه فيها . وعلى حسب ما طلبوا منه وتضرعوا إليه سبحانه فى تصديقهم بها . فنعلم علما ضروريا لا محل للشك فيه أنهم مبعوثون من قبله عز وجل . وأنهم صادقون فيما أخبروا به عنه تعالى ، اذ لا سبيل فى طبيعة مخلوق فى العالم إلى التحكم على البارى ، ولا على طبائع خلقه تعالى بمثل هذا

وبذلك بطل قول الملاحدة لعل الانبياء جماعة من الناس شذوا فى عبقريتهم وظفروا بطبيعة وخاصية قدروا معها على ما أظهروه مما سماه الناس بالمعجزات . فان هذا محض مكابرة منهم إذ ان الخواص قد علمت ، ووجوه الحيل قد احكمت

وليس فى شىء منها عمل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ما ظهر من اختراع الماء الذي لم يكن ولا فى شىء منه إحالة نوع إلى نوع آخر دفعة (وبدون واسطة ادخال جسم فى آخر كما يفعل الكيماوى فى العناصر) كانقلاب العصا حية، فما بالك وقد ظهر كل ذلك على أيدى الانبيا. ؟ إذا ما ذلك إلا لانه من عند الله تعالى لا مدخل لعلم إنسان فيه ولا حيلة لمخلوق عليه

(الفرق بين المعجزة وأفعال السحرة والمشعوذين)

قد يغالط بعض الملاحدة فيقول لقد رأينا الخوارق تظهر على ايدى السحرة والمشعوذين فنقول لهم .

معجزات الانبياء جنس خاص معروف بمميزات خاصة . كما أن السحر والكهانة والشاعرية والجنون وهلم جرا أجناس خاصة لها مميزاتها وخواص المعجزات . آيات للنبوة . مستلزمة لها تعرف بها . وتلك الخواص خارقة لعادة غير الانبياء . وإن كانت معتادة للانبياء فهي لا توجد لغيرهم . فالذى يأتى به نبى خارقا للعادة لا يكون مثله لساحر أو كاهن أو غيرهما ولذا كان دليلا على صحة النبوة

فالسحر والكهانة مقدورهما محدود بمقدار ما تقدر عليه الشياطين ولذا كان يمكن معارضتها والاتيان بمثلها أو بما يفوق عنها بخلاف خوارق الأنبياء فأنها لا تكون إلا خارقة للعادة ولا تكون مما يقدر أحد علي معارضتها . فاختصاصها بالنبي وسلامتها عن المعارضة شرط فيها . ولا بد أن يكون مما لم يعتده غير الانبياء . ومتى عرف أنه يوجد لغير الانبياء بطلت دلالته . ومتى عارض غير النبى النبى بمثل ما أتي به بطل الاختصاص فآيات الانبياء لا بد أن تكون خارجة عن مقدور الأنس والجن جميعا (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا

القرآن لا يأتون بمثله) الآية وحالة كل لاتخفى على أحد فالساحر والكاهن الخ مقصودهم الظلم والفساد ومقصود الانبياء العدل والاصلاح وأولئك يستعينون بالشرك وعبادة غير الله والانبياء تأمر بالتوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له . على أن أخلاق النبوة غير أخلاق السحر والكهانة . فالبون بينهما شاسع والفرق كبير لا يكاد يخفي على عامي فضلا عن متعلم . ولقد كان البدوى الجلف يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ممتلىء شرة وغضبا مشهرا سيفه مناديا بأعلى صوته أين محمد هذا الذى يسب آلهتنا ويسفه احلامنا . والله لا أدعه حتى أقتله بسيفي هذا . فما هى إلا أن يقع نظره على الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حتي تأخذه أنوار النبوة وما أحيط بها من جلال فيعود مناديا بأعلى صوته والذى بعثك بالحق نبيا ما هذا الوجه بوجه كذاب إن هو إلا وجه رسول رب العالمين، هكذا أخلاق النبوة وأحوال الصادقين فيها تكاد تكون نفسها من اكبر الدلائل على صدقهم

ولو أردنا أن نطيل الكلام فى ذكر الفرق بين مقدورات السحرة وأهل الحيل مثلا لوجدنا باب القول متسعا ولطال بنا المقام غير انى اختصره فيما يأتى

العالم كله جوهر وعرض لا غيره . فالجواهر اختراعها غير ممكن ألبته إلا الله تعالى الذى يخلق من العدم إلى الوجود كما ابتدأ العالم واخترعه

فمن ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من اصابع النبى صلى الله عليه وسلم بحضرة الجيش فهي معجزة وشهادة من الله تعالى بصحة نبوته من غير شك .. وكذلك إحالة الاعراض التى هي جوهريات ذاتيات كقلب العصا حيه . وحنين الجزع . وإحياء الموتى الذين ارموا وصاروا عظاما والبقاء فى النار ساعات ولا تؤذيه وما أشبه ذلك فكل هذا لا يمكن إلا أن يكون من عند الله تعالى لانها قلب حقيقة ومحض إحاله لا تخييل وتزييف كما يفعله الساحرون . ولا بضم شيء إلى شيء كما

يصنعه الكيماويون ولا بحيلة من حيل أهل العجائب ولا غير ذلك مما يقدر عليه كل من تعلمه

وكذلك صرف الحواس او غيرها عن طبائعها كما إذا أراك ما لا يمكن رؤيته لامثالك أو مسح يده على مريض فبرئ أو سقاه ما يضر عادته فعوفي. أو أخبر عن الغيوب في الجزئيات بتأكيد المشاهد فكان ما يقول فهذه كلها إحالة الذاتيات، وما وقع ذلك كله إلا لنبي يدعى النبوة فتظهر المعجزة شهادة من الله بصدق دعوته

فكأنه عز وجل يقول صدق عبدي في كل ما يبلغ عني لان الرسالة وظهور المعجزة عقب ذلك برهان صدق وآيات حق تشهد له بذلك

علي ان آيات الانبياء كبري وصغرى فالكبرى خاصة بهم لا يشركهم فيها مخلوق من الجن والانس كما تقدم والصغرى قد يشاركهم فيها الاولياء اكراما للانبيائهم وتوكيدا لنبوتهم ولذا كانت كرامة الولى دليلا علي صدق نبوة نبيه وكانت الخوارق على اى حال دليلا على صدق الانبياء اما بالضرورة او بالنظر فالآيات كلها شهادة بالنبوة وإخبار بها وتصديق للمخبر فهي تستلزم ثبوت النبوة في نفسها وان صاحب الآيات قد نبأه الله تعالى واوحى اليه كما اوحى الى غيره من الانبياء

وتستلزم أيضا صدق الأخبار بانه نبي فالآية الدالة على صدق الرسول تدل أيضا علي صدق كل من قال ان ذلك رسول فمثلا اخبرنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله قال له «قل يأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا» فهذه بعد الوقوف على صدقه وظهور المعجزات على يديه أصبحت تدل على صدق من يشهد برسالة محمد صلى الله عليه وسلم

على أن من أنصع الادلة على صدق الانبياء استمرار نصرهم واتباعهم (مع قلتهم وضعفهم) على اعدائهم (مع كثرتهم وقوتهم)

وكم نزل عذاب الاستئصال بأعدائهم وسلموا وأتباعهم يشهد لذلك الكتب

السموية وكتب التاريخ ولو تتبعنا تاريخ الانبيا. لم نجد العاقبة إلا لهم والهلاك إلا لاعدائهم فما دالت الدولة عليهم مطلقا وما دارت الدائرة إلا على شانئيهم، وكم يظهر فى حوايا ذلك لهم من آيات رائعه وعلامات مدهشه تجدد لمن تبعهم الثقة بهم حتي يقول بعض الصحابة : والله يا رسول الله ما مر علينا يوم إلا وقد زادنا الله بك يقينا. ولذاقال بعض العلماء : إن تصديق النبي أول الواجبات لان العلم الثابت بخبر الرسول المؤيد بالمعجزات يضاهى العلم الثابت بالضرورة فى التيقن والثبات

(طرق معرفة صدق الأنبياء وكذب غيرهم)

إن صدق الانبياء وكذب المتنبئين يعرف بوجوه كثيرة جدا فايات الانبياء حتي الصغرى لا تأتى على يد من يكذب الانبياء مطلقا والنبوة لها آثار مستلزمة لها كما ان اخبار الكهان وغيرهم لها آثار تدل على الكهانة والسحر الخ فالكاهن قد يخبر بالغيب و يصدق فى بعض ما يخبر والساحر قد يميت بسحره الانسان أو يمرضه أو يمنعه عن النساء ونحو ذلك مما يكون بأعانة الشياطين فهذا أمر موجود فى العالم معتاد لا يخفى على الناس واذاً فليس هذا مما يخرق العادة بل هو من العجائب الغريبة التي يختص بها بعض الناس كما يختص قوم بخفة اليد والشعبذة وقوم بالسباحة الغريبة وقوم بالقيافة وقوم بالعيافة الخ مما هو موجود بين الناس نسمع اخباره فى كل وقت وحين .

وجملة القول أن الانبياء لهم علامتان احداهما عقلية وهى ما يحيط بهم من نسب فاخر وماض مجيد وخلق مرضى وعلم باهر ونور ساطع وجلال تغشى مهابته القلوب ودلائل ماضية وحاضرة لا تخفى على اولى البصائر .وصدق الذى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بداهته تغنيك عن خبره

فهذه الاحوال إذا أحاطت بمدعى النبوة لا يحتاج معها ذو البصيرة إلى معجزة ولا يطلبها كما لا تطلب الانبياء من الملائكة فيما يخبرونهم به حجة على صدقه ولهذا لما عرض النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام على الصديق رضى الله عنه تلقاه بالقبول واما الاية الثانية فهي المعجزة ولا يطلبها إلا من يعجز عن ادراك الفرق بين الصادق والكاذب إلا من طريق الحس لكن هذا إما ان يكون معانداً أو غير معاند والمعاند لا تنفع معه معجزة كما قال الله تعالى « ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا »

على أن حكمة الله تعالى لا يمكن أن تسوى بين الصادق والكاذب ولا بين المحق والمبطل « أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم ! كيف تحكمون » بل الحكمة تقضى بأن يظهر الحق على يد الصادق ويؤيد بالبراهين التي يعلم بها صدقه وهكذا فينصره الله ويعزه ويجعل له العاقبة ويجعل له لسان صدق فى العالمين وأما الكاذب فيبين امره ويفضحه ويخذله ويذله ويجعل العاقبة عليه ويجعل له لسان الذم واللعنة فى الآخرين كما قد وقع وشوهد وتواترت اخباره حتى بلغت حد اليقين

وكم للنبوة ومعجزاتها من طرق توصل الى صحيح اليقين بها عند من لم يشاهدها كصحتها عند من شاهدها ولا فرق واهم ذلك نقل الكافة التى قد استشعرت العقول بدايتها والنفوس باول معارفها انه لا سبيل الى تطرق الكذب عليه ولا الشك فيه والا لخرج المكذب على كل معقول ولزمه انه لا يصدق ان من غاب عن بصره من الانس مثلا لا يزال باقياً كما شاهده وان صورته لم تتغير عما رآه ولزم عنده ان من عاينه ثم غاب ان يكون بخلاف ما عاينه بل يلزم من لا يصدق خبر الكافة ويجيز فيه الكذب والهوى الا يصدق ضرورة بان احدا كان قبله فى الدنيا ولا ان فى الدنيا احدا الا من شاهد بحسه فان جوز هذا عرف بقلبه انه كاذب وخرج عن حدود من يتكلم معه لان هذا الشيء لا يعرف البته الا من طريق الخبر لا غير

وان اقر بأنه قد كان قبله ملوك وعلماء الخ فلا سبيل له الى اليقين بكل هذا الا الخبر واذاً فنقول ليس هناك من فرق بين ما ينقل من اخبار الامم والبلاد مثلا (نقل كافة) وبين ما نقل من آيات الانبياء وان من جحد اخبار الانبياء لجهل أو غباوة لا يضير كمن جحد اخبار الامم والبلاد لذلك .

فخبر الكافة لا يسوغ تكذيبه كما لا يمكن اخفاؤه وكم سمعنا فى التاريخ عن ملوك وامراء حملهم الحقد على اسلافهم ان يطمسوا كل أثر لهم وان يكذبوا عليهم فيلصقوا بهم تهمة الجور والظلم والتخريب فلم تخف الحقائق على الناس رغم انفهم بل سادت الحقائق وبقيت منسوبة لاصحابها (كل على حسب ماقدم) رغم كتمانهم الشديد وحرصهم على اخفائها وكذا الانبياء كان لهم من الاعداء من يحرصون على هدم مجدهم ويجهدون فى تكذيبهم فما قدروا قط على طى اعلامهم ولا استطاعوا اطفاء نورهم ولا تمكنوا من ان يثبتوا فى اذهان الناس ما كانوا يختلقون من افتراآت . ولا افاد ما كانوا يودون من التشويش عليهم فى دعوتهم الى ربهم ، بل أذهب الله اغراضهم ادراج الرياح واعز رسله ونصرهم سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

كل ذلك كان واجبا وقوعه بمقتضى الحكمة الالهية فالحكمة تقضى بان يبين صدق رسله ويعلى كلمتهم ويبين كذب الكذابين و يخذلهم (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله لقوى عزيز)

واذا ثبت من كل ذلك صدق الانبياء وجب اتباعهم فى جميع ما يقولونه ويفعلونه ولا يلزم تابعيهم الوقوف على حكمة ماجاؤهم به من أوامر ونواهي إذ هى تشريعات من عند العليم الخبير خالية عن الهوى وشهوة النفس مرادا بها مصالح الخلق وليس كل علم تستطيع أن تبلغ اليه كل قوة بشرية على ان ماجاءت به الرسل

يشهد له العقل والسمع فهو حق فى نفسه ثابت بالعقل والسمع ولو عرض ماجاؤابه على العقول السليمة لقبلته ،وكم من أتباع لهم بلغت شهرتهم الخافقين وكانوا من ارجح الناس عقولا بل كانوا فحول الفلسفة الحقة وابطال العلوم النافعة والمعارف المقومة . فمن خالف الرسل فهو فى معزل عن تأييد العقل والسمع له ، على أن ما يأتى به السحرة والمشعوذون يمتنع أشد الامتناع أن يكون آية لنبي . بل هو آية على الكفر والفسق .فكيف يظن أن يكون آية للنبوة لاسيما وأن ذلك مقدور للشياطين وآيات الانبياء كما قدمنا معجزة للجن والانس جميعهم وهذا بين واضح . ولذا نسمع أن مكذبوا الرسل كانوا يضللون الناس بأيهامهم أن ما يأتى على يد الانبياء مما يسمونه بالمعجزات هو سحر أو من جنس السحر .وهذا لما استقر فى نفوسهم أن النبى ليس بساحر ، وأن الساحر لايكون رسولا ولا نبيا (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون)

ومن عجيب أمر الكفار لمناسبة هذه الآية أنهم لشدة حيرتهم وافراطهم فى الضلال ينسبون الرسول تارة إلى الجنون وعدم العقل وتارة إلى الحزق والخبرة التي لاينال السحر إلا بها إذ السحر لايقدر عليه ولا يحسنه كل أحد (أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)

(حقيقة الوحى)

« وكيف كان »

أيها السادة لابد لنا الآن من الكلام على الوحى وكيف كان وهل هو يحتمل هذا الشك من هؤلاء الملحدين ؟

الوحي إلقاء الشيء إلى الشيء بسرعة .ثم هو من عند الله العزيز القادر إلى

رسله الكرام يكون بارسال ملك إلى هذا الرسول وهذا هو الغالب . وقد يكون بكلام الله تعالى مباشرة وقد يكون بالرؤيا الصالحة (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أومن وراء حجاب أويرسل رسولا فيوحي بأذنه مايشاء)

وقبل الكلام على الكيفيات التي وقعت للملك مع الانبياء يجدر بنا أن نبحث كيف يمكن للملك أن يخاطب البشر وكيف للبشر أن يفهم مايقوله الملك فنقول

للبحث عن هذا يتحتم أن نبحث عن إثبات الجزء الروحانى للانسان ومتي ثبت ذلك انحل الاشكال

(إثبات الروح للانسان)

أيها السادة لسنا فى حاجة إلى الخوض كثيرا فى هذا الموضوع فأن علم التنويم المغناطيسى بعد أن شاع وذاع جعل انكار الروح لامعني له . فقد تبين بيانا لاشك فيه أن فى الانسان جزءاً غير هذا الجزء المدرك صالحا للفعل وقابلا للعمل وهو الذي ينسب اليه الفعل بل هو الذى يشار إليه (بأنا) إذ هو لايتغير ولايتبدل لابالانحلال ولا بالموت ، بخلاف الجسد الذى قيل انه يتغير تماما كل سبع سنوات بوساطة التحليل والتعويض

ولو لم يبق فى الانسان هذا الجزء المسمي بالروح لذهب عنه العلم الذي تعلمه وغابت عنه الحوادث التى يذكرها كلما ذهب ذلك الجسم الذى أدركها لكن الامر علي خلاف هذا

فهذا الجزء لاينبغي ان ينكره من عنده ادنى ادراك . على أن خصائصه غير خصائص المادة فهو يدرك المتضادات ويقبلها ورودا فى وقت واحد كالموت والحياة والعلم والجهل الخ بخلاف الجسم فأنه لايقبل القصر والطول فى آن واحد ولايكون أسود أبيض فى وقت واحد . ولا يكون أعمى بصيرا كذلك . وهكذا وكل ذلك مدرك للروح فى زمان واحد

ولو كانت الروح مادية كالجسم وكان الشخص ليس إلا المادة لكان ارتسام المدركات فيها على حد محدود لا يزيد عن طولها وعرضها مثلا . فما كنا نرى رجلا يقبل من العلوم والمعارف إلا الجزء اليسير الذي يتناسب مع مخه الذى يقع عليه الارتسام كما يدعى بعض الطبيعيين . مع أنا نرى فحولا من العلماء وفلاسفة من المدققين قبلوا علوما ومعارف تعدو هذه الحدود التى يقف عندها أكثر الناس والانسان فى ذاته قابل لما لانهاية له من العلوم والمعارف فأن نظره الواسع وفكره الوافر وغرائزه الجمة الغفيرة التى لا يكفيها هذا العالم الذى نعيش فيه ولا يقنعها وإنما تتطلب العالم اللانهائى حتى يشاكلها ويمازجها، ومن غير المعقول مطلقا أن تكون هذه القوى الدراكة من جنس المادة ، كما لا يعقل أصلا أن المادة تطلب الفرار من المادة ، والتخلص الى عالم اللانهاية بل انه كان يعد وضع تلك الغرائز التي تكره الحدود والنهايات عبثا وهو لا يليق بحكمة العليم جل وعلا فكل ذلك برهان ساطع على ان الروح شيء آخر غير المادة . أفلا يدرك الطبيعيون من أنفسهم أنهم وهم يشتغلون بتحصيل العلوم قد يغفلون تمام الغفلة عن غذائهم وما به تتقوم أجسامهم ، فلو لم يكن تحصيل العلوم غذاء للروح وهي شيء آخر غير الجسم لما ذهل الجسم عن طعامه وشرابه أحيانا لكن الروح لكونها من العالم الاعلى قدمت غذاءها المعنوى علي غذاء هذا الجسم المادى الذى بتركه يضمحل بل يهلك ، وقد يشتبه على الطبيعيين أن المخ إذا اعتراه خلل فتحول عن مكانه أو تأثر بصدمة شديدة فأن الشخص يفقد الاحساس والتعقل ، فيقولون لو لا أن المخ هو المدرك لا الروح لما كان له هذا التأثير ولكننا نقول لهم ياهؤلاء خففوا عن انفسكم واعلموا أن الروح الانسانية لها أعمال منفصلة عن البدن لها من التأثيرات العجيبة مالا نسبة بينه وبين تأثير الاجسام، وأعمال هى تأثيرات بالبدن . فما كان منها بالبدن يشترط فيه انتظام البدن ، ومتي اختل البدن أو جزؤه تعطل تأثير الروح فيه

كلا أو بعضا ، على حسب الحال . فمثلا اليد : إنما تبطش بأيجاد الروح وإقدارها، فلو قطعت اليد او شلت فقد التأثير أو تعطل فلا يوجد بطش، ومثل ذلك المخ . فأنما هو طريق للادراك بتأثير الروح لا بمادته الصماء العمياء فمثله فى ذلك مثل المسرة (عدة التليفون) بكل أجهزتها فهي طريق لتوصيل كلام المتكلم إلى المخاطب حتي إذا انعدم المخ أو اختل انعدم الادراك فى الشخص بضياع الجهاز الخاص به فلا شبهة إذاً للماديين، وأما إنكارهم حينئذ للروح لعدم رؤيتهم لها فكأنكار بعض الجهلة وجود معدن فى الارض لعدم رؤيتهم له، أو بعض الافلاك العلوية لكون بصره الخاسىء لم يستطع أن يصل إليها وما كان عدم رؤية الشيء دليلا على عدم وجوده فالاثير او (الراديوم) قبل كشفه لم يكن معدوما ثم وجد. وبعد كشفه فالوصول إلى حقيقة مادته عسر جدا . ومعرفته بآثاره ممكن لصغار التلامذة . وإذا كان هذا شأن المادة الغليظة فلا تستبعد علي الروح المتناهية فى اللطافة هذا الاختفاء وإن كانت هى من أظهر الاشياء بلوازمها وآثارها

على أنا نري أن كل شيء فى الجسم هو آلة لعمل خاص فلابد من شيء آخر غير أجزاء الجسم له هذا السلطان عليها يسير كل شيء إلى وظيفته

وهل يمكن لاى طبيعى أن يعلل لنا كيف تحيا هذه الأنسجة فى البدن مع أنها تتكون من أغذية ميتة ؟ فهل يصارحوننا بأن ذلك ليس من اجتماع المواد الكيماوية التى تصل اليها عقولنا وإنما هو من تأثير أمر آخر وراء ما نشاهده وهو تسلط الروح الربانى « ذلك السر الصمدانى » الذى هو من امر الله على ذلك الجسم الذى عرفنا كل أعضائه وتفاعلاتها وهو وإن بقى ذلك السر خفيا إلا أنه من أظهر الاشياء بآثاره كما قدمنا

وهل يستطيع الماديون أيضا لو كان الامر كما يقولون أن يعللوا لنا اختلاف الاخلاق فى أشخاص هم أبناء لرجل واحد وأم واحدة . و كيف تكون أخلاقهم

متباينة إلى هذا الحد من التباين فقد يكون أحدهم ماكرا زنديقا والآخر تقيا متدينا ولو كان ذلك يرجع إلى المادة وحدها لما رأينا هذا الاختلاف البين، فالحق أن الماديين ليسوا على شيء «ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا»

« كيف يخاطب الملك البشر »

الآن وقد ثبت ان فى الانسان جزءاً آخر غير المادة هو الروح نستطيع أن نفهم كيف أن الوحي كان ينزل على الانبياء وكيف كان النبى وهو بشر يأخذ عن الملك الاوامر الالهيه والشرائع الدينيه، فنقول : حيث قد عرفنا أن الانسان مركب من جزأين جزء مادى أرضى وجزء علوى سماوى ملكى . والانبياء من جنس البشر والله سبحانه وتعالى قد اختارهم من صفوة خلقه على حسب علمه (الله اعلم حيث يجعل رسالته) فهم أصفى الناس على الاطلاق قلوبا وأطهرهم أرواحا واقربهم إلى الله زلفى ، فهم صلوات الله وسلامه عليهم بجزئهم المادى يشبهون بقية افراد النوع الانسانى ، وبجزئهم الروحانى يشبهون الملك لصفاء ارواحهم، وشدة تخلصهم من قيود الجسمية ، فالنبي يشبه البشر بطرف هو الصورة ويشبه الملك بطرف هو الروح وبهذا الطرف يوحى اليه بوحى الله الذى يمده فى حركاته الفكرية والقولية والعملية بالحق فى الافكار والصدق فى الاقوال ، والخير فى الافعال ، وبمجموع الطرفين يفضل النوعين حتى تكون بشريته فوق بشرية النوع مزاجا واستعدادا وملكيته فوق ملكية النوع الآخر قبولا وآراء فلا يضل ولا يغوى بطرف البشرية ولا يزيغ ولا يطغى بطرف الروحانية (قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا) وبذلك يستطيع الرسول أن يأخذ عن الملك كل ما يأتى به عن الله تعالى سواء خاطبه بالعبرية أو العربية أو السريانية الخ فقد تقرر أن أمر الله تعالى واحد لا

تكثر فيه ولا انقسام له (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) فالحقيقة واحدة والمظهر متعدد فيلقى الروح الامرى الامر الى النبى دفعة واحدة بلا زمان كلمح بالبصر فيتصور فى نفسه الصافية صورة الملقى كما يتصور فى المرآة المجلوة صورة المقابل فيعبر عنه إما بعبارة قد اقترنت بنفس التصور وذلك هو آيات الكتاب . وإما بعبارة نفسه وذلك هو إخبار النبوة وهذا كله بطرفه الروحانى

وقد يتمثل الملك الروحانى له بمثال صورة البشر تمثل المعنى الواحد بالعبارات المختلفة ، أو تمثل الصورة الواحدة فى المرائى المتعددة أو الظلال المتعددة للشخص الواحد فيكالمه مكالمة حسية ويشاهده مشاهدة عينية ، ويكون ذلك بطرفه الجثمانى وفى مدة فترات الوحي لم ينقطع عن الانبياء التأييد الالهى والعصمة عن كل مخالف فهو سبحانه يقومهم فى أفكارهم ويسددهم فى أقوالهم ويوفقهم فى أفعالهم (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم)

ولعله يكون قد تبين لكم يا حضرات السادة ، أن الامر ما كان يحتمل تشكك هؤلاء الملحدين وتعنتهم لكنهم أبوا إلا أن يتورطوا فى سلسلة مهاو يهلكون فيها أنفسهم بأيديهم ، ولقد صدق كاتب إنجليزى يراسل جريدة التيمس بمواضيع فلسفية فقد كتب مرة مقالا تحت عنوان (سنة الوحي) قال فيه . نعم إننا نستطيع أن نعرف شيئا كثيراً عن الله من دروس الطبيعة والتاريخ باستعمال قوى العقل ، والحقائق التى نعلمها من هذا السبيل تضاف الى ما أعلن الى الناس بوسائل فوق الطبيعة

على أن كل ما يجيء بنا الى معرفة الله هو وحيه وإعلانه لذلك نحن نقبل قولة (كرليل) «إن السماء والارض ليستا إلا غطاء الزمن للأبدية ، وما الكون إلا رمز واسم إلى الله ، بل إن شئت ما الانسان نفسه إلا رمز إلى الله

إلى أن قال - والوحي كله واحد وأعظم ماميز به الانسان قدرته على تقبله ثم قال . والوحى يتطلب جهدا صحيحا من الذين يريدون أن يفهموه حق فهمه ، إلى أن

قال : والناس صنفان من حيث نظرهم إلى الحقيقة وتطلبهم لها وإن يكن علمهم بها جزئيا ومقيدا بشروط — أحدهما هو الصنف الذي يعظم المخبأ والمستور عنا فيرفع عقيرته بالشكوي من الحيرة التى تكتنفه . فرجل هذا شأنه يزداد حيرة وشكا ولا يزداد معرفة ، وثانيهما صنف هو الذى يشكر علي مارأى وتعلم فيتتبع علمه بهمة واجتهاد إلى حيث يقوده مستعينا بوسائل أخرى للاستزادة منه وهوله حيرته وشكوكه ولكن فوقه نورا يزداد تألقا كلما مشى فيه » أ هـ ويحسن بنا أن ننقل حكمة شاملة عن هرمس العظيم الذى حقق بعض العلماء أنه نبى الله إدريس عليه السلام فقد قال « أول ما يجب على المرء الفاضل بطباعه ، المحمود بسنخه (١) ، المرضى فى عادته ، المرجو فى عاقبته تعظيم الله عز وجل وشكره على معرفته وذلك بعد فللناموس (٢) عليه حق الطاعة له ، والاعتراف بمنزلته ، وللسلطان عليه حق المناصحة والانقياد ، ولنفسه عليه حق الاجتهاد والدأب وفتح باب السعادة ، ولخلصائه عليه حق التحلى لهم بالود والتسارع إليهم بالبذل ، فإذا أحكم هذه الاسس لم يبق عليه إلا كف الاذى عن العامة وحسن المعاشرة بسهولة الخلق »

(رد شبهة من يقول كيف يفضل بشر على بشر)

لقد قال مشركو العرب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيما حكاه القرآن عنهم (ماهذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولوشاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) ولقد علمتم مما تقدم أن الله بمقتضى حكمته لا يبعث الملائكة رسلا الى عامة الناس ولذا قال الله « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » ولا غرابة فى ذلك إذ انه لا يمكن الاخذ عنه والاستفادة منه والانس بمعاشرته الا بذلك فلا نطيل القول فى هذا . ونرد عليهم فى استغرابهم أن يبعث بشر هو مثلهم ، والواقع ياحضرات السادة . ان ادعاء

---

١) أصله ٢) الرسول

التساوى فى البشرية باطل كادعاء بعض المتفلسفين اليوم ليبرهن على ان النبوة لا لزوم لها ولا حاجة اليها يقول « ان الناس متساوون فى البشرية . وان كلا منهم يستطيع ان يجهد حتي يرفع الحجب المادية ، ويصقل النفس عن الصدإ لارتسام الصور المعقولة وحينئذ لو بلغ الاجتهاد الى غاية الكمال لتساوت الاقدام، وتشابهت الاحكام ، فلا يتفضل بشر على بشر فى النبوة ، ولا يتحكم أحد على أحد بالاستتباع

ونحن نقول لهذا النفر ان كان مرادكم التماثل والتشابه فى الصور البشرية والاشكال الآدمية فهذ ثابت ولا يضرنا ويكون مثلكم كمثل الذين من قبلكم سواء بسواء فيكون عجبكم كيف يكون لهذا عينان ولسان وشفتان مثلى ثم يفضل علي بالنبوة ؟ وأما ان أردتم التساوى فى الروح والعقل فلا نسلمه لكم ومحال ان تتساوى عقول القوم وقلوبهم ونفوسهم بعقول الانبياء وقلوبهم ونفوسهم . وليتأملوا ان شاءوا فى تاريخ الانبياء ثم يخبرونا هل وجد فى التاريخ ممن ليسوا بأنبياء من قاربهم فى رجاحة العقل أو ماثلهم فى عظمة القلب او شابههم فى عفة النفس وطهارة الروح وكمال الاخلاق كلا والف مرة كلا ! .

على ان التفاوت بين افراد البشر والتفاضل بينهم علي حسب الاستعداد الذى هو اضطرارى محض ؛ والمزاج الذى هو خلقى فطرى ، والذى هو معد لقبول النفس الخير او الشر لدرجة ما . وانقسمت بحسبه الناس الى أخيار واشرار وتنوعت بسببه درجات النفوس الى مراتب لا تكاد تتناهى ، ألا وإن من ينظر الى رتبة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه بالنسبة الينا فأنه يستيقن بأنها كرتبتنا بالنسبة الى من هو دوننا فى الجنس من الحيوانات ، فكما اننا نعرف اسامى الموجودات ولا تعرفها الحيوانات فالانبياء يعرفون خواص الاشياء وحقائقها ومنافعها ومضارها ووجوه المصالح فى الحركات وحدودها واقسامها ونحن لا نعرفها وكما ان نوع الانسان ملك الحيوان بالتسخير ، فالانبياء ملوك الناس بالتدبير ، وكما

ان حركات الناس معجزات الحيوانات كذلك حركات الانبياء معجزات الناس الانبياء منتهي فكرهم بالنسبة الينا لا غاية له ، وحركات افكارهم فى محل القدس مما لا تصل اليه قوة البشر ، وكذا حركاتهم القولية والفعلية لا يبلغ الى غاية انتظامها وجريانها على سنة الفطرة السليمة حركة كل البشر وهم فى الرتبة العليا والدرجة المقدمة من درجات الموجودات كلها، فقد احاطوا علما بما اطلعهم الله تعالى عليه مما لم يصل اليه الملائكة والروحانيون ولقد صاغهم الرب تعالى فى قالب خاص أهلهم فيه لشرف النبوة « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » « والله يخلق ما يشاء ويختار»

(دحض فرية من يقول ان الانبياء ادعوا النبوة لاصلاح العامة)

أيها السادة . قلنا ان الملحدين ظهروا فى اثواب مختلفة وأتوا الناس بأكاذيب وحيل متباينة لغرض واحد هو الوصول الى محق الاديان من العالم وثل عروشها الرفيعة من بين حبات القلوب ، تقول هذا وقد رأينا فريقا حين اعيته الحجة . واعوزه الدليل علي هدم ما اقامه الانبياء من صروح مشيدة للديانات ، فهو لم يستطع ان يجادل فى انه لولا الديانات لكان العالم اليوم فى تنور الضلالة يتأجج بهم لهبه . ويصطلون بناره . ولكان كتلة من الشرور . تسود فيها الرذيلة وتمحى معالم الفضيلة ينتشر بينهم القتل الذى فيه فناء الخلق . ويشيع فيهم الزنى الذى فيه فساد النسل وضياع المواريث وخراب البيوت بفقد النظام الاقتصادى لان الناس ينصرفون الى شهواتهم والعاهرات لا يهمهن من امر الرجل الا ما يتطلبن من لذة البطن والفرج عمر بيته ام خرب ، بقي ماله ام ذهب .

ويفشو بينهم الظلم الذي فيه ضياع الاموال والانفس والثمرات . بما يورثه من الاحقاد والضغائن وما يؤدى اليه من بغي وحسد وكذب وغدر وبخل

ولو اتيح لك أن تلمح قوما قعدوا عن هذا اليقين . ولم يروا بأعينهم من بنى جنسهم من يتصف بذلك لوجدت حالهم فى فتور ، وهممهم فى قصور، وديارهم فى افتقار ومسكنة ، ونفوسهم فى ذلة وهوان .

وثالثا فأن الاعتقاد بأن الانسان ما وجد فى هذه الدار الا ليتهيأ للعروج إلى دار أرفع وأعلا منزلة يورث صاحبه كمالا فى الخلق . وطهارة فى الضمير . وعلوا فى التفكير . ويسوقه سوقا لاضاءة عقله بالعلوم والمعارف . وتشحيذ ذهنه بالبحث والاستقصاء وتنوير قلبه بالرياضة والعبادات . فهذه العقيدة أحكم مرشد . وأهدى قائد للانسان الى المدنية الصادقة . القائمة علي صراط العدل . وقسطاس المساواة المستقيم . وانك لو تخللت جيلا من الناس حرم هذه العقيدة . لوجدت فيه أرذل الاخلاق وأسوء السجايا وابدى لك فيه غل وشقاق . وكذب ونفاق . وحيل وتدجيل . وخداع وشره وأباطيل، وغدر واغتيال وهضم للحقوق مع جلاد وجدال . ولاحسست فيه جفاء للعلم . وغشوة عن نور المعرفة . وبينما يرى غير المتدين ضنينا بنفسه . بخيلا علي الناس بما فى يده ، رخيصة أرواحهم وأموالهم عنده . ما دام هو قد سلمت له نفسه وأمواله . يرى المتدين عطوفا عليهم . محبا لهم ما يحبه لنفسه محافظا على أرواحهم واموالهم وأعراضهم . بل ويحافظ على دينهم ولو هلكت نفسه . وذهبت ضحية هذا الوفاء . والادلة على ذلك كثيرة مشهورة . فحوادث الأئمة مع المأمون بالنسبة للقول بخلق القرآن لا تخفى علي أحد . ولقد روى وهب ابن منبه أن ملكا كان يحمل الناس على أكل لحم الخنزير . فأتى بأفضل أهل زمانه ليأكله . ورق له صاحب الطعام فوضع له جديا مكانه . وأبى العالم أن يأكله مع هذا . فلما أمر بقتله . قال الشرطى . ما منعك أن تأكل منه . وهو لحم جدى . قال خفت أن يفتتن النـاس بي . فان أكرهوا على أكل الخنزير . قالوا . قد اكله فلان . فيستنون بي وأكون فتنة لهم . فقتل رحمه الله ولم يقبل أن يكون سببا فى فتنة

الناس فى دينهم ولقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . أنه استعمل رجلا من بنى أسد وأعطاه العهد . وبينما هو فى مجلسه إذ جيء لعمر ببعض ولده . فقبله فتساءل الرجل قائلا. أتقبل؟ والله ماقبلت ولدا قط فقال عمر. فأنت والله بالناس أقل رحمة . هات عهدنا لاتعمل لى عملا أبداً . فأخذ عهده منه وأمره بالانصراف. خوف أن يفتن الناس فى دنياهم .

وبالجملة . فليس شيء يفعل بالنفوس فعل الدين إذا استولى سلطانه على عرش الافئدة . ولو أردنا أن نعدد مايورثه الدين الأمم من أمهات الفضائل التي قد ترفع شأنهم . وتكثر عزهم . وتنشر فى العالمين ذكرهم لطال بنا البحث . وخرجنا عن المقام

(انكار الملحد وجود الله مصادمة للفطرة)

أيها الساده . . من يدقق النظر قليلا يري أن الله سبحانه فطر الانسان على اعتقاد الالوهيـة . وقد أودع فى فطرته من الاستدلال مابه يصل من الآثار على مؤثرها . ومن المقدمات إلى نتائجها . ولذا تتملكه الدهشة إذا رأى أثراً وسط صحراء منقطعة عن المارة . ومتى عرف أن هذه المفازة كانت عامرة بسكانها. أو أن سائحاً مر بتلك البقعة زال ذلك الاستغراب وانمحى أثر الدهش . واطمأنت نفسه لأنه عرف سبب ذلك الأثر ،وكما أن العقل لايستطيع أن يفهم وجود صنعة بدون صانع . ولا أثراً بدون مؤثر . كذلك لايستطيع أن يفهم أرضاً وسماء. وبحارا وأنهارا وجمادا وحيوانا . وحبا ونباتا . وجنات ألفافا. بدون إله أوجد ذلك (إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب) (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالهامن فروج . والارض مددناها

وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب)(ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لاإله إلاهو فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل)

ولا يهولنك أن من بين من ينكر الالوهية طائفة ممن درسوا العلوم والفلسفة وضربوا فيها بسهم وافر . فانهم قد فسدت فطرتهم . وخرجوا عن حدود الانسانية الصحيحة . وطرحوا عقولهم وراءهم ظهريا . وإلا فانك إذا أخبرت فوجا من الناس بأن رجلا أراد أن يؤلف كتاباً . فرأى أن ذلك الكتاب قد ألف وطبع . ووضع أمامه ولم ير له مؤلفاً ولا واضعاً لما وجدت منهم إلا سخرية بك . واستهزاء بقصتك المضحكة . وخرافتك المخترعة .

وليت شعري كيف استطاع هذا الانسان أن ينكر وجود الله . ويكلف نفسه التصديق بأن هذه العوالم ومثلها هو نفسه وجدت من غير موجد مع أنه لا يستطيع أن يصدق بتلك القصة التي هي وجود كتاب واحد من غير موجد أليس لانه مصادم للعقول منافر للعادة . لا يتفق مع النظام الكوني . وسنن الكائنات . فلم لا يكون ذلك من باب أولى

ولعمري إن المبطل لابد وأن يتخبط ولا بد أن تقوم عليه الحجة من مفترياته ولقد روى بعض المفسرين أن الامام ابا حنيفه دعي لمناظرة طبيعي عند الخليفة فتأخر الامام أبو حنيفة عن الموعد المضروب ساعة ثم حضر فسأله الطبيعي عن سبب تأخره . فقال لقد حضرت إلى شاطىء النهر . ولم أجد سفينة فتضايقت . واذا بالامواج تقذف ألواحا فتجمعها . واذا بالالواح تصير سفينة كاملة فحضرت عليها فرد الطبيعي قائلا . وهل يعقل ذلك يا أستاذ ؟ فأجابه على البديهة . كما لا يعقل أن يوجد ذلك العالم الكبير بدون صانع فأفحم ذلك الطبيعي من ساعته وقامت عليه الحجة ولقد رد الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده على مفتريات هذه الطائفة التي تنكر الالوهية مطلقا وتزعم ان المادة بما لها من القوة ومايلابسها من الادراك تجلت وتتجلى

بأشكال العالم وتنظيم الكون هذا التنظيم البديع .الخ ويقولون ان المادة عندما تظهر بصور الاجساد الحية نباتية كانت او حيوانية تراعي بما لابسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع. فتنشيء لها من الاعضاء والآلات ما يفي باداء الوظائف الشخصية والنوعية مع الالتفات الى الازمنة والامكنة ويرون ان الاجسام مركبة من الجواهر الفردة كما يرى اسلافهم المتقدمون، فرد عليهم الاستاذ قائلا ما ملخصه انه بعد ما يلزمكم من عدم انطباق رأيكم فى علة نظام العالم على رأيكم فى تركيب الاجسام « وذلك لانه يلزم على القول بشعور المادة ان يكون لكل جزء (ديمقراطيسي) شعور خاص كما يلزم أن تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الاجزاء اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء ويلزم أيضا أن يكون كل جزء (جوهر فرد) يحتوي على أبعاد غير متناهية وهو فى صغره لا يدرك ولا بالمجهر (المنظار المعظم) اذ العلم عندهم انما هو بارتسام الصور فى ذات العالم وهو مادى والصور العلمية على هذا الزعم غير متناهية وكلها يرتسم فى مادة الجزء العالم فيكون فى كل جزء وهو متناه الى غاية الصغر أبعاد غير متناهية للصور الغير المتناهية وهذا مما تبطله بداهة العقل»

وبعد هذا فأني سائلهم كيف أطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء ، وبأية آلة أفهم كل منها باقيها ما ينويه من مطالبه وأى مجلس من مجالس الشورى عقد للتشاور فى ابداع هذه المكونات العالية التركيب البديعة التأليف، وانى لهذه الاجزاء ان تعلم وهى فى بيضة العصفور مثلا . ضرورة ظهورها فى هيئة طير يأكل الحبوب . فمن الواجب ان يكون له منقار وحوصلة لحاجته فى حياته اليهما ، واذا كانت فى بيضة الشاهين والعقاب فمن اين لها العلم بأنها تقوم طيرا يأكل اللحوم فلا بد له من منسر ومخلاب يصول بهما فى الصيد

لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ثم ينسر لحمه ليأكله . ومن اين لهاوهي فى مشيمة الكلب ان تعلم انها ستكون على صورة انثى الجرو وتكبر وقد تلد اجراء متعددة فيلزم لها من الحلمات بعددها

ومن هذه الاجزاء المتبددة ان تدرك حاجة الحيونات الى القلب والرئة والمخ والمخيخ وسائر الاعضاء والجوارح . فليت شعرى هل يحيرون جوابا أم يرتبكون ام يقولون ان كل جزء من هذه الاجزاء الصغيرة يعلم جميع ما كان وما يكون ويحرص كل منها على مراعات نظام الكون واركانه فيتحرك على حسب ما تقتضيه الحاجة فى التكوين . اللهم ان هذا لا يقول به عاقل سبحانك هذا بهتان عظيم وتقدم فى محاضرتنا السابقة (الله لا الطبيعة) مايغنى عن التطويل فى هذا المقام

الملحدون والدنيا

أيها السادة . إنا نعرف أن الذى أخذ بهؤلاء الملاحدة عن الاتعاظ . وأبعد بهم عن ربهم إنما هي مظاهر هاتيك الحياة . التي شغلتهم بباهر زخرفها . فكان حقا علينا لزاما أن نقول لهم كلمة عنها لعلهم أو لعل من يغتر بهم يفيقون من سكرتهم التي فيها يعمهون . حتى يكونون أهلا للمخاطبة بالحجة والبرهان فنقول لهم ياهؤلاء . إعلموا ان مظاهر هذه الحياة لا تؤدى للروح سعادتها . ولا للقلب لذته . فأن تلك اللطيفة الربانية ليست من جنس هذه الارض فلا تكون شهوتها فى هذه الارض وماعليها، أما غيرها من الجوارح فقد يستوفى مأربه منها . فالروح لا توجد شهوتها إلا فى السماء . والقلب لايرى لذته إلا مع الملائكة والقديسين . وهو الملك وسائر الجوارح رعيته . فمآرب الرعية قد توجد فى هذه الدنيا . أما مآرب الملك فقد تسموا عن ذلك وتعلو، فالقلب الروحاني النوراني لاتوجد لذته فى هـذه

المظاهر الكثيفة . إنما توجد بالنور الذى يتقذفه الله تعالى فى قلب المؤمن حتي يشرح صدره . ويملأ ما بين جنبيه صفاء وسرورا . اما الدنيا بكل كلها فلا تستطيع ان تحصل للقلب روحانيته ولا تستطيع أن تقذف فيه نور السعادة والطمانينة، بل إن القلب إذا ملىء من منبع أرضى شقى بهذا جد الشقاء للتنافر بينهما فاذا أشرب حب المال شغل بحفظه . ونصب فى تنميته . واكثر التفكير فى المحافظة عليه . ثم هو دائما فى خوف وخفقان . اشفاقا عليه من الطوارىء والآفات . ولذلك يقول الله تعالى «ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا » بل إن مطالب الجسد وإن توفرت فى زخارف هذه الحياة ومظاهرها من مأكل وملبس ومشرب ومركب فانها لا تخلو من عناء التحصيل ونصب الجد . وآلام الانشغال ،وما كانت الدنيا جوادة بسعادتها بل ما كانت السعادة فيها إلا طيف خيال وسانح آمال إذا رمت يوما ان تلمسها باليد أو تطعمها بذوق حسك الرقيق لم تجد لها ملمسا ولا طعما ولذلك صدق القائل ذاما لها:

إن الدنيا دار عناء . وآخرها فناء حلالها حساب . وحرامها عقاب، دار غير وعبر . وسقم وهرم ،دار غرور حائل . وزخرف نائل وعز زائل .وظل آفل، مقبلة فى حال الادبار، مغررة تأخذ بالابصار

دار متي ما أضحكت فى يومها   أبكت غدا بعدا لها من دار

هى دار ممر الى دار مقر مثلها مثل الحية لين مسها . قاتل سمها يهوى اليها الغر الجاهل . ويحذرها اللبيب العاقل . الدنيا كالمرأة الغادرة الماكرة . تخدع الانظار بدمامتها. وهى لاصحابها قاتله، فلا ينبغي اللهو بها .وما خلق الانسان عبثا فيلهو . ولا أمهل سدى فيسلو . فما احسن الزهد فيها . حتي يقتصر علي الحلال . والرفض لها حتى لا يقع فى الحرام فقد حفت بالشهوات وعمرت بالآمال. وتزينت

بالغرور . لا تؤمن فواجعها ولا تحصى غوائلها (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح) الدنيا كالماء الملح الذى لا يزداد شارب به شربا إلا ازداد عطشا . وسعادتها التى يطلبها المرء كالعظم الذى يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلا يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمى فاه . ولا يحصل منه شيئا وطالبها كالحدأة التي تطير بقطعة من اللحم فيجتمع عليها الطير فلا تزال تدور وتدأب حتى تعيا وتعطب . فاذا تعبت ألقت ما معها ، وهى كالكوز من العسل الذى فى أسفله السم . فيذاق منه حلاوة عاجلة . وآخره موت زعاف . وأيضا هي كاحلام النائم التي يفرح بها فى نومه ، فاذا استيقظ ذهب الفرح

هذا حال الدنيا ايها الاخوان فكلها أوصاب وآلام وبلاء وعذاب. أوليس الانسان إنما يتقلب فى عذابها من حين يكون جنينا إلى ان يستوفى ايام حياته ولقد أحست بذلك عبقرية حكيم فقال

لما تؤذن الدنيا به من صروفها   يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها وانها   لاوسع مما كان فيه وارغد

نعم فأنه اذا كان طفلا ذاق من العذاب الوانا . إن جاع فليس به استطعام أوعطش فليس به استسقاء . أووجع فليس به استغاثة مع مايلقى من الوضع والحمل واللف والدهن . والمسح ، إن ينم على ظهره لم يستطع تقلبا ثم يلقى اصناف العذاب مادام رضيعا فاذا افلت من عذاب الرضاع أخذ فى عذاب الادب . فأذيق منه الوانا من عنف المعلم وضجر الدرس وسآمة الكتابة ثم له من الدواء والحمية والاوجاع والاسقام أو فر حظ وأكبر نصيب ، فأذا ادرك . كانت همته فى جمع المال ، وتربية الولد ، ومخاطرة الطلب والسعي والكد والتعب ، ثم انواع عذاب الهرم لمن يبلغه

ويرحم الله الزمخشري حيث يقول : الدنيا خدع . والناس بدع . والموت

لا ينجو منه الاعصم (١) والصدع (٢) .فخذ إن شئت وإن شئت فدع

ويرحم الله ذلك الزاهد الذى زار ملكا فعمل له استعراضا لزخارف ملكه وكل ما عنده من خدم وحشم . ثم قال له الملك ماذا رأيت ؟ فقال رأيت شيئا ينقصه شيء . فقال وماذاك ؟قال أن تعمد الى أطارف ملكك فتضرب عليها سورا يكون لك حصنا حصينا فلا ينفذ اليك الموت منه أبداءفقال وأنى لى بذلك فقال وما الفخر اذا بشيء كان لغيرك ثم صار اليك . ثم يخرج من يدك الى غيرك . !!وزار آخر ملكا فوجده قد شغله ملكه عن الآخرة فقال له أرأيت أيها الملك لو أنك ببرية فحبس عنك الماء وبلغ العطش عندك مبلغه أفلست تفدى تلك الشربة بملكك فقال نعم . قال هب انك حصرت بيول وطاب منك ان تفديه بملكك افلست تفعل قال نعم . قال كيف تلهوا بمالا يساوى شربة ولا بوله .

يادنيا كم لك من أكباد جرحى ، ومن أجفان قرحى تفجعا للمصبوب من فراقك فوق رؤوس عشاقك .على ان نكاياتك لاتحصى ،وشكاياتهم عدد الحصى فماذا لكم بعد ذلك يامن تفتخرون بمتاع هذه الحياه، وتجهدون انفسكم وراء زخارفها حتي أودت بكم فكذبتم آيات الله ورسله وذلك شر انواع الضلال والبهتان . هل آن ان ترجعوا عن غيكم وان تحكموا عقولكم ام حق عليكم قوله تعالى «ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا»

الملحدون وقصور العقل البشرى

أيها السادة .أنى أريد ان أتكلم ساعة مع أولئك الذين اختاروا لانفسهم الالحاد .وانى ارجو منهم ان يتجردوا عن ماتملك انفسهم . وانطبع على صفحات صدورهم عن تقليد واستحسان لاعن دليل وبرهان .وان يتخلوا عن تلك الرعونه

---

١) الغراب ذو المنقار الاحمر ٢) هو الشاب القوي من الوعول

نعم فمن لم يكن له الاستعداد الطيب والضمير الطاهر فهو بعيد عن الانتفاع بما جاء به الانبياء والامر على ما قال الله (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	٦	و يرتعون	و يرتعو
٦	١٧	والكنهم	ولكن
١١	١٤	سكرآن	سكران
١١	١٥	لاناني	الاناني
١٢	١٩	كفلك	كفاق
١٧	١٢	وغشوة	وعشوة
١٨	١٣	على	الى
٢١	١٤	يكونون	يكونوا
٢٤	٤	أطارف	اطراف
٢٧	١٨	ما أينه	امانيه
٢٩	١٤	فستنكرونها	فيستنكرونها
٣٢	٤	رأيتهما	رأيتها
٢٣	١٠	أعرار	أغرار
٤٠	١٣	الحكم	الحكمة
٤٦	١٦	أل	إلى
٤٧	١٣	لسنه	لسنة الله
٤٨	٤	حالف	خالف
٤٨	١٣	الخبرة	والخبره
٥٦	٨	والله	وربك

تنبيه

ما نقل عن الاستاذ الامام فى صفحتى ١٥ و ١٩ هو ملخص ما عبر به فى رسالة الرد على الدهريين للسيد جمال الدين الافغانى

وقد صرفنا النظر عن عدة غلطات مطبعية بسيطة يدركها كل قارىء

فهرس الجزء الثاني من سهام الدين المارقة فى صدور الزنادقة







